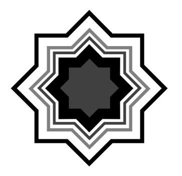
ملائكة الله



حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: محمد أحمد نعيم

اسم الكتاب: ملائكة الله

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ الموافق لـ ٢٠١٩م

Malaa'ikatullah
(Angels of Allah)

(Arabic translation)

Written by:
Hazrat Mirza Basheer-ud-din Mahmud Ahmad
Second Successor to the Promised Massiah (on whom be peace)

Translated from Urdu by: Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2019

Published by:
Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey,GU9 9PS
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252 821796

www.alislam.org
www.islamahamadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-790-7


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات





نحمده ونصلي على رسوله الكريم وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدم لقراء العربية ترجمة كتاب مهم لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وهو "ملائكة الله".

هذا الكتاب خطاب زاخر بالحقائق والمعارف السماوية ألقاه حضرته في ٢٨-٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٢٠ في مسجد نور بمناسبة الجلسة السنوية بقاديان.

إن موضوع ملائكة الله من الإيمانيات، ومع أن هذا الموضوع دقيق جدا لكن حضرته قدمه بأسلوب سلس وسهل جدا وببصيرة العارف المجرِّب.

فقد سلط حضرته رضي الله عنه- من القرآن الكريم- الضوء على حقيقة الملائكة وضرورتهم وأنواعهم وفرائضهم وذِكْرهم في الأديان المختلفة، إضافة إلى دحض بعض الشبهات عنهم.

في نهاية الكتاب بيَّن حضرته شتى الوسائل لإنشاء العلاقة بالملائكة.

بقي أن نذكر أنّ النصوص الحديثية والتاريخية الواردة في الكتاب مذكورة عمومًا بالمعنى لا نصًّا.

لقد حظي بتعريب هذا الكتاب الداعية الإسلامي الأحمدي محمد أحمد نعيم وصدر بإشراف المكتب العربي المركزي بتعاون عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة والتدقيق، ونخص بالذكر السيد أباحيان، والسيد حسام النقيب والدكتور وسام البراقي المحترمين.

نتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناتهم، كما نسأل الله تعالى أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذا الكنز ويجعله سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين.

الناشر

ملائكة الله[1]

خطاب ألقاه

سيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام

بمناسبة الجلسة السنوية

بعد ظهر يوم ٢٨ / ١٢/ ١٩٢٠

في مسجد نور بقاديان

❁❁❁❁❁

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين

أسلوب حفظ الأمر

لقد سبق لي أن نصحتكم في الجلسات السنوية السابقة، وأشرت مرارًا على من يودّون حفظ الأمور بشكل خاص أن يكتبوها، لأن الله تعالى قد خلق الدماغ الإنساني ليخزّن الأشياء في الذاكرة بقدر ما نوظف في إدراكها من الحواس. فالشيء الذي ندركه بحاسة واحدة يكون تأثيره أقل بالقياس إلى ذاك الذي نكتشفه بحاستين، فحين يستمع المرء إلى شيء ويسجله بآن واحد فإنه يستخدم قوتين، ثم إذا استمر في النظر إلى ما كتبه بالإضافة إلى الحماس والإرادة، فإنه سيترك في دماغه أثرًا بالغًا. لكنني لا أقصد من الكتابة، كتابة الصحفيين، إذ لا يكون بمقدورهم حفظ ما يكتبون لكثافته، وبما أنهم يكتبون للآخرين، فإنهم يكونون حريصين على أن يسجلوا كل كلمة قدر المستطاع. لكن لما كان غير هؤلاء يكتبون ملخصا لذا يستطيعون الإمعان في الموضوع. وعندما يسجلون بعد بعد الإمعان في الموضوع فلا شيء يمكن أن ينفلت من ذاكرتهم، ثم حين يستقر نظرهم على ما يكتبون فإنه يترسخ في ذاكرتهم أكثر. ولهذا السبب فقد كان من دأب أسلافنا أنهم لم يكونوا يسمحون بحضور دروسهم لمن لم يكن معه قلم ودفتر. فقد ورد في ذلك أن الإمام الشافعي حضر مرة درساً للإمام مالك في المدينة المنورة، وكان الشافعي قد قصده من مكة وهو صغير لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره وحين لاحظ الإمام مالك أنه حضر

الدرس منذ يومين أو ثلاثة وليس معه قلمٌ ودفتر، سأله باستياء: لمَ تحضر؟ وذلك حين رآه لا يسجل الملاحظات- وكان الله تعالى قد وهب الشافعي ذاكرة خارقة، إذ كان إذا سمع شيئًا حفظه- فأجاب قائلا: جئت لأتعلم. عندئذ سأله الإمام لم لا تكتب إذن؟! فأجاب قائلاً: إن كل ما يتناهى إلى أسماعي يختزن في ذاكرتي. فطلب منه الإمام أن يُسمعه ما قد سمع، ففعل. يقول تلاميذ الإمام مالك إن دفاتر جميع الطلاب كانت تحوي أخطاءً، لكن الشافعي لم يخطئ.

لكن لا يملك كل واحد منا ذهنًا مثل الشافعي، لذا يجب أن نتخذ منهجًا من شأنه أن يعوّضَ ضعف الذاكرة، وهو أن يكتب المرء ما يسمعه بأسلوب خاص، فتتسنى له فائدة مزدوجة، فيحفظ ما كتب بالاستذكار.

عند الاستماع يجب الانتباه التام

الآن أريد أن أسدي إليكم نصيحة أخرى، وهي أنه يجب عليكم أن تعيروا الانتباه التام للموضوع في أثناء الاستماع إليه، لأن استيعاب الأمور العلمية وحفظها ليس أمرًا سهلاً هينًا، ولسوف يخرج المرء من الجلسة صفر اليدين ما لم يولِ الموضوع اهتمامًا كاملاً.

لقد استخدم القرآن الكريم في حق أمثال هؤلاء الناس كلمات قاسية، ولما كان ذلك مثالا فلا بأس من ذكره. فقد ورد أن المنافقين كانوا

يحضرون مجلس النبي ﷺ، ثم يتساءلون فيما بينهم بعد الخروج من عنده قائلين: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ (محمد: ١٧).

إذ كان هؤلاء يحضرون الجلسة دون أن يصغوا إلى ما يجري فيها من أحاديث، والحقيقة أن المرء حين يكون في مجلس يدور فيه الحديث عن الدين فإن الشيطان يذهب به مذاهب شتى في تفكيره لكيلا ينتفع بهذه الأحاديث.

ثمة كثير من الناس يحضرون الاجتماع ولا يعيرون لما يُقرأ على مسامعهم أهميةً، وعندما يُسألون أحيانا عما جرى في الجلسة يقولون: والله كان الحديث شيّقًا جدًّا، لكننا لم نحفظه، والواقع أن متعة هؤلاء لا تكون ناجمة عن إصغائهم، وإنما عن هتافات الناس وإشادتهم بجودة الموضوع واستمتاعهم بالخطاب.

فاستمعوا لما يقال لكم بآذان صاغية، ومن كان معه قلم ودفتر وهو متعود على الكتابة فليكتب، أما الذين لم يعتادوا الكتابة في أثناء سماع الخطبة فليمتنعوا عنها لكي لا يفوتهم الموضوع. وإنني أحثكم على الكتابة لأنه كثيرًا ما تطرأ ظروف تفرض علينا تأجيل نشر هذه الخطب. وإن النقوش التي تكون قد انطبعت في الأذهان في أثناء الخطبة تنمحي فيما بعد، وفي مثل هذه الأحوال يتيسر على من كان قد سجل هذه الخطب في الدفتر أن يستفيد منها بالمذاكرة.

ولقد تناولت في السنة الماضية بمناسبة الاجتماع السنوي مسألة هامة من الإيمانيات، وصادف أن طرأت ظروف أَخَّرَتْنا عن نشرها في حينه، والآن تمكَّنّا من نشرها، ومن قرأها الآن منشورةً شعرَ وكأنها موضوع جديد. لكن الذي كان قد سجل الملاحظات حين الاستماع إليها فمن المؤكد أنه استفاد منها.

أهمية الموضوع

موضوع خطبتي اليوم هو الآخر هام جدًا ويدخل في أسس الإسلام ومعدود ضمن الإيمانيات ودقيق للغاية. لقد شرحت لكم في السنة الماضية بحثَ "القدر الإلهي"، ومع كونه عويصًا فقد كان إدراكه سهلاً، وذلك لاهتمام الناس به وانتباههم إليه. لكنني أتناول اليوم بحثًا لا ينتبه الناس إليه عادة مع كونه من الإيمانيات، وذلك لأن كلمة القدر شائعة ومتداولة لدرجة أنه كلما خسر أحد شيئًا أو ظفر به قال: هذا كان مقدرًا لي من الله ﷻ، هكذا شاءت الأقدار. وكان تكرار هذه الكلمة مرارًا في تلك الخطبة يسترعي انتباه الناس ويجذب اهتمامهم، ولما كان الناس يثيرون التساؤلات عن القدر الإلهي على الدوام فقد استمعوا إلى ما صُبَّ على مسامعهم بإصغاء، ولم يتغافلوا عنه، وذلك لظهور القدر الإلهي كل يوم.

لكن الموضوع الذي أتناوله اليوم لا يظهر بالتكرار في حياة الناس اليومية على كونه من الإيمانيات، ولا يدرك الناس سبب كونه معدودًا

ضمن الإيمانيات، لذا يجدر بكم الانتباه إليه بصورة خاصة، ألا وهو موضوع "ملائكة الله".

الإيمان بالملائكة من الإيمانيات

لقد عدّ الله الإيمان بالملائكة من الإيمانيات، وإن الذي لا يؤمن بهم يبقى كافرًا مع إيمانه بالكتب والرسل والآخرة، وكما أن الذي لا يؤمن بالنبي ﷺ يُعدّ كافرًا، فإن منكر الملائكة هو الآخر يعتبر من الكافرين، فمثل من ينكر وجود الملائكة كمثل الذي ينكر الكتب السماوية أو يرفض البعث بعد الموت. ومن المؤسف أن الذين لفت وجودُ الملائكة انتباههم من المسلمين هم قليلون، وقليلاً ما أولى المسلمون لهذه المسألة الاهتمام المناسب.

فهم لا يعرفون من هم الملائكة ولماذا نطالَب بالإيمان بهم، وما هي الفوائد التي تترتب على الإيمان بهم.. هم يعرفون أن الإيمان بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم يهدي إلى الحسنات، وإن مارسها الإنسان أمكن له الوصول إلى المدارج العالية، وأن الإيمان بالآخرة يدفع الإنسان إلى الإقلاع عن الذنوب ويبعثه على القيام بأعمال صالحة، نظرا إلى أن اقتراف السيئات سوف يجره إلى العقاب، كما أنه سيُثاب على الأعمال الحسنة. ومن الجلي البيّن أن المرء إذا آمن بأن الله تعالى رزاق خالق رحيم كريم فإن إيمانه هذا سوف يمكّنه من الانتفاع بصفاته هذه. أما الملائكة فمن هم لنؤمن بهم؟ وما هي المنفعة التي تتحقق بالإيمان بهم؟!

إيمان العامة بالملائكة

لنفكر؛ لو تجرد الناس عن اعتقادهم بوجود الملائكة ما الذي سوف ينقص من إيمانهم؟ كل واحد يفكر بأنه إذا رفض رسالة محمد ﷺ فإن ذلك سوف يحرمه من تعليمه السامي، كذلك إذا أنكر أن القرآن وحي من الله فقد يحرم نفسه من تعليمه الجليل، لكن ما الذي يصيبه لو أنكر وجود الملائكة وما هي الخسارة التي سوف يفضي إليها إنكارُه للملائكة؟

إن إيمان عامة الناس بالملائكة ضئيل جدًا، إذ ينعدم عند ٩٩ بالمئة منهم، لدرجة أنهم لو تخلوا عنه لما نقص من إيمانهم الحالي شيء، كما أن تمسكهم به لن يزيد في إيمانهم شيئًا، مع أن المعروف أن كل مسألة إيمانية هامةٌ جدًا ويترتب على التمسك بها فوائد جمة، كما أن تركها يؤدي إلى خسائر فادحة، وذلك لأن الإقرار باللسان وحده غير كاف ولا يضر ولا ينفع. ومثال ذلك أننا نؤمن بوجود جبال الهمالايا، لكن الإيمان بها غير وارد في الإيمانيات ولم نطالب به، لأن إيماننا بها لا يقدم ولا يؤخر، إلا أن الإيمان بالملائكة معدود ضمن الإيمانيات، ومن الطبيعي أن يجلب لنا المنفعة وأن يجرّ لنا تركه الخسائر.

لماذا الإيمان بالملائكة

إن التساؤل: لماذا نؤمن بالملائكة؟ هام جدًا. ما علاقتهم بنا؟ أي منفعة يجلب لنا الإيمان بهم؟ وما الذي يستدعي الإيمان بهم إذا لم تكن

ثمة منفعة منه؟ وإن قال أحد إن الإيمان بمحمد ﷺ يبرر الإيمان بهم فقد يقول غيره ما علاقتنا بهم إذن؟ وهل يبقى إيماننا ناقصًا إذا لم نعرف وساطتهم في نقل الوحي الرباني؟ وما الذي يحدث لو افترضنا بأن الله تعالى كان يلقي الوحي على قلب محمد ﷺ دون أي وساطة؟ هل سيسبب ذلك أيَّ نقص في القرآن الكريم؟ إذن لماذا نطالَب بالإيمان بهم بإلحاح لدرجة أننا إذا لم نؤمن بهم فسنعد من الكافرين؟

مثل هذه التساؤلات تجعل الموضوع عسيرًا وعويصًا، وقد يكون جافًا لدى الكثير من الناس فيفقدوا التركيز، لأن الملائكة كائنات لا نراها ولا نلمس علاقتنا بهم في الظاهر.

إن بحث القدر هو الآخر كان صعبًا ومعقدًا جدًا، إلا أن الناس حين كانوا يسمعون بأن الله تعالى لم يقدر العذاب لأحدهم وفقا لقانون القدر، وأن الفكرة القائلة بأن الإنسان لا يستطيع الخلاص من العذاب غير سليمة، كانوا يشعرون بخفة الأثقال الناجمة عن الأفكار الخاطئة الشائعة عن القدر الإلهي، ومن ثم كانوا يصغون إلى الموضوع بكل اهتمام وتركيز، لكن الملائكة يبدو أنهم غير معنيين بنا ولا نشعر بأي حاجة إليهم؛ فقد لا يسترعي الموضوع انتباه الناس.

ثم إن عامة الكتّاب والمؤلفين لم يكرّسوا اهتمامهم لبحث موضوع الملائكة وذلك لعدم إدراكهم مكانتها، مع أن الملائكة يحملون للناس

منافع لو أدركوها لتوجهوا إلى الكتب التي تضم البحوث عنها. ولقد تناول بعض المتصوفة هذا الموضوع وشرحوه في مؤلفاتهم، لكنه قليل ونزر يسير. وإن كان ثمة شخص سبق الجميع في تناول هذا البحث بعد رسول الله ﷺ فهو سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، الذي ظهر وأماط اللثام عن سرهم المختوم، في حين لم يشرح أحد هذا الموضوع في المرحلة الواقعة بينه وبين سيدنا محمد المصطفى ﷺ. لقد فسر القرآن الكريم حقيقتهم، كما ورد ذكرهم في الأحاديث النبوية، وتناولت الصوفية هذا الموضوع بإيجاز شديد، أما بقية المؤلفين فلم يكتبوا عنهم شيئًا على الإطلاق. لقد استرسلوا في بيان الأمور العادية واستشهدوا عليها بعشرات القصص وشرحوها بإسهاب، لكنهم أهملوا موضوع الملائكة إهمالاً مطلقًا وكأن الملائكة في نظرهم غير جديرين بأدنى اهتمام، وسبب ذلك يعود إلى صعوبة الموضوع وعدم تمكنهم من شرحه، لكنه قد آن الأوان ليكشف عن جوهر كل شيء، كي لا يسنح لأحد الاعتراض على أي مسألة، لذلك فقد هيأ الله تعالى وسائل يمكن بموجبها أن يتمكن الناس من إدراك حقيقة الملائكة.

الملائكة الخيالية عند مسلمي الوقت الحاضر

لقد ذكر أحد الآريا قبل بضعة أيام أن المسلمين قد بدأ ظنهم يسوء في الإسلام، واستشهد على ذلك بما كتبه السيد أمير علي- وهو مسلم- أن الملائكة كيان خيالي وليس لهم أي حقيقة. وإنني أقول لا شك أن

الصورة التي رسمها مسلمو الوقت الراهن في أذهانهم عن الملائكة هي خيالية، لأنهم لا يعرفون من هم الملائكة وما هي الحاجة إلى الإيمان بهم وما هي المنافع التي يجلبها لنا الإيمانُ بهم. لكنني أقول أيضًا إن كل ما هو داخل في الإيمانيات ليس لغوًا باطلاً، كما ذكرت قبل قليل، بل له فوائد جمة. ولما كان عامة الناس لا يعيرون هذا البحث الاهتمام ويتغافلون عنه، فقد تطلب منا الانتباه له بشكل خاص. وثمة دراسات حديثة تثير في أذهان الناس تساؤلات عن وجود الملائكة، لكننا نستطيع بفضل الله ورحمته إثبات وجودهم مثلما نثبت وجود الأشياء غير المرئية الأخرى الكثيرة. نحن نملك على وجود الملائكة براهين يفهمها كل من تخلى عن التعصب الأعمى.

أليس للملائكة وجود؟!

لقد وَلّدت الدراسة الحديثة في أذهان المسلمين عامة فكرة تقول أنْ ليس للملائكة أي وجود، وإنما القوة المنبعثة في قلب سيدنا محمد ﷺ سميت بالملائكة، أما تسمية جبريل وميكائيل فكان الهدف منها خلق التأثير في أحاديثه، لكون هذه الأسماء متداولة وشائعة بين الناس. لكننا نلاحظ أن وجود الملائكة مُعتَرف به بقوة، ولذا نقول إنه إن كانت مسألة تستحق المناقشة بعد مسألة وجود الله، فإنما هي وجود الملائكة، حتى إننا نطالع في أحوال تاريخ الأقوام الوحشية أنهم كانوا يؤمنون

بالملائكة. هناك ديانات كثيرة قد انقرضت تعاليمها إلا أن آثارها ومكتشفاتها تدل على اعتقاد أتباعها بالملائكة، أما الأديان الموجودة حاليًا فإن ذكر الملائكة وارد فيها بكل وضوح.

ذكر الملائكة في الديانات الأخرى

إن أكثر ديانة تناولت بحث الملائكة من الديانات القديمة هي الزرادشتية، فقد ذكر أتباعها الملائكة بوضوح وتفصيل. وتحتل اليهودية في هذا الميدان مكانة سامية، ولما كانت حديثة ولم يمض عليها زمن طويل، فقد حوفظ عليها إلى حد ما، وهي تضم الكثير من الحديث عن الملائكة. وتحتل الهندوسية- التي تزعم أنها قديمة جدًا- المركز الثالث في تسليمها بوجود الملائكة، وإن كان الهندوس في العصر الحاضر يشرحون هذه العبارات بطريقة أخرى.

كذلك فإن كتب أهل الصين القديمة تذكر الملائكة. وتدل مكتشفات مصر واليونان على إيمان قاطنيها بوجود الملائكة. كما أن آثار الأقوام الوحشية القديمة- التي لا نعرف أسماءها- وأمثالها، تتضمن شهادة كافية على إيمانها بالملائكة؛ فقد ورد في هذه الآثار ذكر مخلوق يعاقب الإنسان، كما عُثر في موضع آخر من هذه الآثار على لوحات رُسمت فيها مخلوقات تهبط من فوق، وعمر هذه الرسوم يقدَّر بآلاف السنين، فهذه الأمور كلها تبرهن على أنهم كانوا يعتقدون بوجود الملائكة.

وخلاصة القول إن ذكر الملائكة وارد لدى كل شعب وملة، إلا أن أكثرهم تناولاً لذكر الملائكة هم الزرادشتيون ثم اليهود فالهندوس والأقوام القديمة.

وفي المسيحية نجد أن بولس قد أثار بحثًا فيما إذا كان يجوز عبادة الملائكة أم لا؟ ويتبين من هذا أن القلوب كلها كانت متأثرة بهذا التعليم. وكما أننا نجد فكرة الإله في كل قوم وشعب ونستطيع القول بأن جميع الناس قد آمنوا بإله منذ الأزل، وهذا الإيمان يشكل دليلاً على وجوده، كذلك فإن اعتقاد جميع الشعوب بالملائكة- مع تباين حضاراتها وعدم اتصالها ببعضها- لدليل قوي على وجودهم.

ذكر الملائكة في الزرادشتية

من الطريف أن ما ورد في الكتب الزرادشتية من أسماء وأعمال للملائكة يُشبه أسماء الملائكة وأعمالها في الإسلام.

يعتقد الزرادشتيون أن هناك إلهين، وهما إله النور وإله الظلمة، ويطمح إله النور أن يقهر إله الظلمة، وسيأتي زمان يضعف فيه إله الظلمة. كما يسمون إله الحسنات "يزدان"، بينما أطلقوا على إله السيئات "أبرومانة" إلا أن الاسم الشائع له هو"أهرمن" أي رجل الظلمة. من هذا الاسم يتضح جليًا أنه كان يمثل الشيطان ولم يكن إلهًا، لكنهم يقولون إنه كان إله السيئات إزاء إله الحسنات، وهو الذي يحرض المرء على السيئات.

في اللغة الدينية الزرادشتية يطلق على كبار الملائكة اسم "أميشا" بمعنى "الخالد" ويبدو من ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الملائكة لن يأتي عليها الفناء، وكما أن الروح الإنسانية لن تفنى فإن الملائكة هم الآخرون يخلدون، ومن معتقداتهم أن الملائكة هم منبع جميع الحسنات والديانات، وأنهم يمثلون كيانًا يتجلى الله بواسطتهم، وهم يعتقدون بأن الملائكة قد حازوا على مكانتهم هذه بالارتقاء لآلاف السنين، كما يزعمون أن الملائكة هي لآلئ منقطعة النظير. إنها تنفعنا دون أن نراها بعيوننا المادية، ولا نطلق عليها اسم الجواهر لأنه انتهاك لشأنهم، كما أنها ليست بأزهار عالقة على الأشجار بل تماثل النجوم التي تدور حول الشمس، إنها ليست زينةً لله ﷻ وإنما يتجلى بواسطتها.

لقد ورد في كتب الزرادشتية أن أكبر الملائكة هو "فاهومانا" بمعنى الملك الطيب والمصلح، كما أنّ له اسما آخر هو "فاهشتامانا" أي أفضل الملائكة. وكلمة "جبر" تعني بالعربية والعبرية الإصلاح. وعندما نقرأ هذين الاسمين معًا نتبين أن "فاهومانا" هو في الأصل "جبريل".

ويُستشف من كتب الزرادشتية أن العقل الإنساني يتلقى الضوء بواسطة هذا الملك، وكان زرادشت عليه السلام قد دعا الله تعالى أن يهب له نورًا وإلهامًا يتمكن بهما من رؤية "فاهومانا"، واستجيب له وحظي بلقائه أخيرًا. يقول الزرادشتيون إن كل الدوافع والحسنات تصدر منه، وإنه يهجر الذين لا يستجيبون لِحَضِّه.

والملك الثاني عندهم "آشا" أي ملك التقوى وهو يُعنى بالنار من الأشياء المادية، لأن النور يتولد من النار وتتولد التقوى من النور، ويبدو أن هذا الملك هو"ميكائيل" لأنه ملك التقدم الدنيوي، ورمز التقدم الدنيوي المادي هو النار.

إضافة إلى هذين الملكين الكبيرين هناك خمسة ملائكة كبار، أما الملائكة الصغار فلا حصر لهم، ويعتقدون بأن تنسيق العالم كله في عهدة الملائكة الكبار، كما يعتقدون بأن الملائكة يلقون في قلب الإنسان على الدوام تأثيرات حسنة حتى لا يندس فيه الشيطان، ويقولون إن الولادة من الله تعالى بينما الموت من الشيطان، ولذلك فهم يؤمنون بأن المرء يولد على الحسنة، ثم تحميه الملائكة لأن التولد من الله، وبعد ذلك يأتيه الشيطان ليحثه على السيئات، فإن استجاب لأوامره هجره الملائكة قائلين: لقد أصبح من عباد الشيطان. ويعتقد الزرادشتيون أن هذه المعركة بين الله والشيطان ستستمر حتى يتولد نبي إيراني النسل باسم "ميسيور بهمي" أي سوف يبعث نبي من أولاد زرادشت باسم المسيح المبارك، لكنه لن يكون من سلالته، وذلك لأنه قد ورد أن هذا النبي سيكون من بطن زوجة لم تنجب من قبل.

إن هذا النبي سوف يخوض معركة أخيرة مع الشيطان وسيلتمس من الله قائلاً: يا رب أنزل الملائكة، لأن الحرب حامية الوطيس. عندئذ سوف يُنزل الله ملائكةً لنجدة هذا النبي حتى تخور قوى الشيطان ويمسي

مرهقًا. في تلك اللحظة سوف يشن هذا النبي هجمة أخيرة مدعومًا بالملائكة، وسيندلع قتال مريع ينتهي بهزيمة الشيطان، إذ سوف يُقبض عليه ثم يُقتل. بعد ذلك سيسود الأمن ويتوسع العالم، لأنه لن يموت أحد، وذلك لأن الذي كان يسبب الموت سيكون قد أُجهز عليه.

ويبدو أن هذه الكلمات قد خرجت من فم نبي من الأنبياء، لأنها تحققت ولا تزال تتحقق. لقد ظهر "ميسيور بهمي" وفقا للعلامات الواردة عنه[١]. ثم هناك نبوءة تنبأ بها الأنبياء الآخرون عن معركة أخيرة مع الشيطان، وهذه الحرب تجري في الوقت الراهن، إذ نلمس محاولات متنوعة و بأساليب شتى لإضلال الناس عن دين الحق ولإبعادهم عن الله، وإزاء هذه المحاولات سعى أهل الحق لإنشاء صلات الناس بربهم، وهذه الحرب بين الحق والباطل رهيبة وخطيرة.

وعلى صعيد آخر فقد تحقق النبأ عن سؤال طلب الملائكة من السماء، فهناك كشْفٌ لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام سأل الله فيه مائة ألف ملك، فرد الله عليه قائلا: إن مائة ألف كثير، حسبك خمسة آلاف. ولما كان عدد الملائكة الذين أنزلوا لمساعدة المسلمين في الحرب المذكورة في القرآن لا يزيد على خمسة آلاف، لذلك لم يؤت عليه السلام أكثر من هذا العدد؛ وبذلك قد تحققت هذه النبوءة.

---

[١] أي المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

وتتضمن كتب الزرادشتية تفاصيل مستفيضة عن مهام الملائكة، ومع أنهم قد أخطأوا في استيعاب بعض الأمور إلا أن كتبهم تتضمن بحوثًا عن الملائكة بما يمكِّنُنا من القول: إذا كانت أية ديانة تكلمت عن الملائكة غير الإسلام فهي الزرادشتية.

ذكر الملائكة في كتب اليهود

لقد ورد الإيمان بالملائكة ضمن تعاليم اليهودية، ويصف اليهود جبريل بأنه ملك النار، لكنهم مخطئون في هذه التسمية، وذلك لأن هذا الاسم نفسه موجود في الزرادشتية، وهم يطلقون عليه اسم ناقل الوحي، ولما كان هذا الاسم قد ورد عندهم قبل اليهود فيبرر ذلك لنا الاعتقاد بأنه قد تسرب في إيران إلى اليهود بعد نفيهم. ولذلك فإن من الخطأ أن نصفه بأنه ملك النار، لأن الذين استعار منهم اليهود هذا الاسم هم ينعتونه بأنه ملك الرحمة وناقل الوحي، أضف إلى ذلك أنه قد وصف في الكتاب المقدس بأنه ملك الرحمة. كما ورد في التلمود أن الذين ألقي بهم في النار في عهد دانيال كان منقذهم جبريل.

فقد ورد أن أعداء إبراهيم حين أرادوا إلقاءه في النار استأذن جبريلُ اللهَ لينقذه، لكنه لم يأذن له، بل قال: أنا وحيدٌ فريد، وإن إبراهيم هو الآخر وحيد في الأرض، ولذلك سوف أقوم أنا بنفسي بإنقاذه. والمعروف في مجتمعنا أنه حين قرر أعداء إبراهيم أن يلقوا به في النار أتاه

جبريل وقال له: سلْني. فقال: لن أطلب منك شيئًا. عندئذ قال له: اسأل الله إذن. فقال إبراهيم: العارف بحالي غني عن سؤالي. هذا وقد ورد في التلمود أن الله تعالى قال لجبريل: سأذهب أنا لإنقاذ إبراهيم وليس أنت، إلا أنني لن أضيع حسنتك هذه وسوف أرسلك مستقبلاً لإنقاذ أحد أولاده. ثم عندما ألقي ببعض الأشخاص في النار في عهد دانيال، سمح الله لجبريل أن ينقذهم، ففعل. وبالمجمل نقول إن ذكر الملائكة وارد عند اليهود من البداية إلى النهاية، وقد وُصف الملائكة بأنهم أبناء الله عز وعلا.

ذكر الملائكة في الهندوسية

كذلك فإن ذكر الملائكة موجود في الهندوسية، إذ نجد أسماء مثل "فارونا" وغيره. واعتبرهم العامة أرواحًا تستحق العبادة، لكن مسمَّيات هذه الأرواح كانت في الحقيقة ملائكة ينقلون كلام الله، لأن مهمة فاهومانا تبدو نفس مهمة فارونا. هذا لأن الزرادشتيين يربطون "فاهومانا" بالشمس كما يتصل "فارونا" هو الآخر بالشمس. ثم خطأً بدأ يُعتقَد أنه لما كانت لهما علاقة بالشمس لذا فالشمس إله وبذلك بدأوا يصفون الشمس بإنها إله.

وليس ثمة شك في أن لهؤلاء الملائكة صلةً بالشمس. كما قيل في الإسلام بأن جبريل له علاقة بالشمس. فقد كتب سيدنا المسيح الموعود

عليه السلام أيضا أن له علاقة بالشمس أي أن لجبريل علاقة بالنبي ﷺ إذ قد وُصف ﷺ في القرآن الكريم بالسراج.

ومن الأمور التي صدرت بسببها فتاوى كفْر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنه كفَر بالملائكة. ولقد تناول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام البحث عن الملائكة في كتابه "توضيح المرام" و"مرآة كمالات الإسلام" حيث أثبت من القرآن الكريم أن للملائكة ارتباطًا بالأجرام السماوية وأنهم يؤثِّرون في العالم بواسطتها. عندئذ أثار المشايخ التشكيك بأنه يكفر بالملائكة ويقول بتأثيرات الكواكب، فأصدروا فتوى الكفر ضده.

إن موضوع النجوم هذا بحث قائم بذاته، ولا أريد أن أتطرق إليه الآن. وإنما أريد الآن أن أخبركم بأن ذكر الملائكة موجود ومعروف عند جميع الديانات. وإن الإسلام كما دحض مئات الأمور المتعلقة بالشرك فقد أثبت الإيمان بالملائكة وبإلحاح لدرجة أن من لم يؤمن بوجودهم يُعَدُّ من الكافرين. وكافة الأديان مدينة بالفضل للإسلام لأنه كما دحض جميع الاعتراضات الواردة على الأنبياء، فقد فنَّد أيضًا كل الاعتراضات الواردة على الملائكة.

ويعتقد الزرادشتيون واليهود بأن الملائكة يمكن أن تقع في فخ الشيطان، وغير الأحمديين من المسلمين هم الآخرون يحسبون- تقليدًا

لأولئك- أن الملكين هاروت وماروت ما زالا معلقين في بئر بابل لوقوعهما في شراك الشيطان، لكننا نستنبط من القرآن أن الملائكة مخلوقات لا يصدر منها شيء إلا بأمر من الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٧)

الآن وبعد أن ثبت بأن فكرة وجود الملائكة أمر قد أجمعت عليه الأقوام قاطبة، يتحتم على كل عاقل جاد أن يفكر في أن المسألة غاية في الأهمية، ولذلك فقد أوردها كل قوم في كتبهم.

نقرأ في القرآن الكريم أن فكرة الملائكة كانت شائعة متداولة في زمن نوح عليه السلام أيضًا، وقد سجل القرآن قول مخالفيه:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٥)

كذلك فإن فكرة الملائكة كانت متداولة عند العرب، وقد سجل القرآن الكريم اعتراض الكفار:

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الحجر: ٨)

وبعد هذا التعريف الوجيز أتناول التعليم الإسلامي وأشرح لكم ما قد علّمنا القرآن عن الملائكة.

حقيقة الملائكة

١- بادئ ذي بدء ينبغي أن نعرف هل الملائكة مخلوقات أم لا؛ وذلك لأن المكانة التي أوتوها تُخيّل لنا أن الملائكة ليسوا من المخلوقات بل أرفع منها مكانة، الأمر الذي انخدع المسيحيون بسببه حين تصوروا أن روح القدس غير مخلوق بل هو جزء من إله، فجعلوه إلهًا. لكن الإسلام يدحض الفكرة القائلة بأن الملائكة ليسوا من المخلوقين، وأكد على أنهم مخلوقون، ونستنبط ذلك من قول الله تعالى:

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (الصافات: ١٥١)

أي هل كان هؤلاء الكفار موجودين حين خُلقت الملائكة ليقولوا إنهم إناث، ومن هنا نستنبط ونقول إن الله تعالى قد خلق الملائكة. أما إن كان سيأتي عليهم الفناء أم لا أو سوف يخلدون كما تخلد الأرواح الإنسانية أم سوف يخلد بعضهم ويهلك بعضهم الآخر فهذا بحث آخر. يقول اليهود إن ألوفًا من الملائكة تتولد من الارتعاش الناجم عن بيان كلمات الوحي ثم يموتون فورًا، بينما يعتقد الزرادشتيون بأن الملائكة لن تفنى ولن تموت.

٢- الأمر الثاني الذي ينبغي ألا ننساه في بحث الملائكة أنهم كيان روحي لا يقدر الإنسان على رؤيتهم على صورهم الأصلية، وإذا

شاهدهم أحد من الناس بعينيه الماديتين فمن المحقق أنهم في غير شكلهم الأصلي، لأنه من المؤكد أن الإنسان بحاجة إلى العيون الروحية لرؤية الملائكة، وإذا ادعى أحد من الناس أنه قد رآهم بعينيه المجردتين، فلا يكونون على هيئتهم الأصلية. إذ قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (الأَنعام: ١٠)

أي يقول هؤلاء الكفار: لم لا ينزل الملك؟ لكنه إن نزل، تمثّل رجلاً ليشاهدوه، ومن ثم سوف يبقى الأمر مشكوكا فيه ما إذا كان النازل ملكًا أم رجلاً، وسيبقى اللبس قائما بأن هذا الكلام من صنع الإنسان وليس وحيًا من الله، ونقول كنا سنرسل الملائكة لو كانت فائدة ترتجى من إنزالهم. ولما كان الناس يتعذر عليهم مشاهدة الملائكة بعيونهم المادية إلا أن تتمثل لهم رجالاً، وإذا تمثلت قالوا إنهم رجال لأن الملائكة لا تنزل؛ فإن كيان الملائكة روحاني خفي لا يتراءى لعيون مادية.

٣- البحث الثالث في موضوع الملائكة: إن الملائكة ليست إناثًا ولا ذكورًا. ونستنتج ذلك من الآية التي قرأتها عليكم قبل قليل وهي:

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (الصافات: ١٥١).

لقد دحض الله تعالى في هذه الآية فكرة كونهم إناثًا، لكنه لم يفصح بأنهم ذكور. بل ذكر فقط قول الكفار بأن الملائكة إناث، أنى لهم

معرفة كنههم؟ هل كانوا حاضرين حين خلق الله ﷻ الملائكة؟ لقد أنكر الله هنا كون الملائكة إناثا ولكنه لم يقل إن الملائكة ذكور. إذن من الخطأ أن نذكِّر أو نؤنّث الملائكة، لأن الذكورة والأنوثة من خصائص الأشياء المادية ولا تكون الأشياء الروحية ذكورًا ولا إناثًا. فمثلا لا نقول إن روح الرجل تكون ذكرًا وروح المرأة تكون أنثى، لأن الذكورة أو الأنوثة حالة الشكل الظاهر، أما ما يوجد في الشكل الظاهر فهو شيء واحد.

٤- نستنتج من القرآن الكريم أن الملائكة ليسوا على صنف واحد، بل إنهم ثلاث درجات، يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٨) نستنبط من هذه الآية وجود ثلاثة أنواع من الملائكة؛ حيث تقدم لنا دلالة النص نوعين، أما النوع الثالث فتدل عليه إشارة النص، فالآية تقول: هناك ملائكة يحملون العرش وهناك ملائكة حول العرش: أي من الملائكة قسم تصدر الأوامر الإلهية بواسطتهم وقسم آخر ينوبون عن هؤلاء ويوصلون هذه الأوامر إلى الطبقة الدنيا، ويتبين من هذا البيان أن هناك طبقة من الملائكة هي أدنى ممن هم حول العرش. والأحاديث

تصدق قولي هذا؛ إذ نقرأ فيها أن بعض الملائكة مكلفون بأداء بعض المهام، فهؤلاء هم دون حملة العرش ومن حوله.

ونلمح في الزرادشتية ما يشبه هذه المسألة نوعًا ما، فهم يقولون إن الملائكة السبع يديرون شؤون العالم، بينما يقول القرآن الكريم ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨). وليس المراد من العرش في هذه الآية سريرا من ذهب أو فضة، بل العرش هو تلك الصفات العليا التي تتجلى بها ألوهية الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذه الألوهية سوف تتجلى في العالم الثاني بواسطة الملائكة الثمانية، لكنها تتجلى في هذا العالم- كما يتبين من الاستدلال- بواسطة سبعة[1] من الملائكة.

فهناك ملائكة حملة العرش وآخرون أدنى منهم درجة لكنهم مقربون إلى الله وكأنهم مساعدون لحمَلة العرش إذ لا توكَل إليهم المهمة وإنما يكونون مساعدين فقط، والنوع الثالث أدنى درجة من هؤلاء.

فالملائكة منقسمون ثلاثة أقسام هي:

١- الذين تظهر بهم صفات الله تعالى.

٢- الذين يساعدونهم والمقربون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

[1] يبدو أن الناسخ كتب ذلك سهوًا متأثرا بذكر سبعة من الملائكة عند الزرادشتية. فقد كتب سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في التفسير الكبير أربعة من الملائكة، وهذا ما قاله سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا. (المترجم)

٣- الذين تعهد إليهم الشؤون الصغيرة، ولا حصر لهم. يقول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: ٣٢). لا يمكن لأي إنسان أن يقدّر عددهم لأنه كما ثبت من كلام الرسول ﷺ أن كل أمر موكّل إلى ملك من الملائكة.

٥- نتبين من القرآن الكريم أن الملائكة مخلوقات معصومة من ارتكاب المعاصي. من فطرة الإنسان أن يكفر بالأنبياء، حتى أن بعضهم يكفر بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ، وهناك أناس يسبون الله، إلا أن الملائكة-كما نقرأ في القرآن- مخلوقات ليس من طبعهم ارتكاب السيئات. كما يكون نطاق عملهم محدودا بالقياس إلى الإنسان. إن الإنسان يمكن أن يتعدى حدوده، لكن الملائكة لا يقدرون تجاوز حدودٍ حُددت لهم، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن المجيد:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٧)

٦- إن الملائكة ليس يتورعون عن معصية ما أمرهم الله به فحسب، بل إنهم يمتثلون لأوامر الله تعالى بحذافيرها، لأن المعصية والتلكؤ شيء، وعدم التمكن من إنجاز المهمة كما ينبغي شيء آخر تمامًا؛ فمثلا لو كُلّف شخص هزيل بحمل شيء ثقيل ولم يستطع حمله لوهنه، فلن يقال عنه إنه ارتكب معصية، بيد أن الذي يرفض مع مقدرته على الحمل فإنه عاصٍ. يقول الله تعالى عن الملائكة إن كل واحد منهم مؤهل

لإنجاز ما يُعهَد إليه من مهمة، فهم لا يكونون مثل بني البشر يقدر بعضهم على تنفيذ الأمر وبعضهم الآخر لا يقوى على إنجاز ما يطلب منه؛ فيقول الله ﷻ: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. بينما الإنسان لا يتصف بهذه الصفة، إذ يريد أحيانًا أن يقوم بعمل ما لكن حالته الصحّية تمنعه. ففي المرض مثلاً يود المرء أن يصلي قائمًا، لكن صحته لا تسعفه ولا تسمح له بذلك.

٧- إن الملائكة لا يتأثّرون بالأجواء المحيطة بهم، بينما تتأثر المخلوقات الأخرى- مهما تكن قوية- بالبيئة، فتخضع لتأثير وتقاوم تأثيراً آخر. فالأنبياء مثلاً يقبلون أثر الحسنات، كما لا بد أن يتضرروا- إذا اشتركوا في القتال- ويصابوا لبشريتهم، إلا أنهم يُعصمون من التأثيرات السيئة، لكن الملائكة لا يؤثر فيهم أي شيء ولا يخضعون لأي تأثير، إذ يقول الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم: ٧)، أي من صفات الملائكة أنهم لا يقبلون أي تأثير خارجي، إلا أنه إذا عهد إليهم أن يؤثروا في شيء فإنهم يؤثرون، لكن الإنسان لا يتسم بهذه الصفة، إذ لا يقدر على أن يؤثر في كل شيء، إلا أنه قد أوتي نصيبًا من هذه الصفة، إذ يتصف بالتأثير في بعض المجالات ولا يستطيع في المجالات الأخرى. أي أنه يماثل الملائكة في بعض الصفات ولكن ليس من كل الوجوه، فيقول الله ﷻ في وصف الصحابة:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٣٠)

أي يكون المؤمنون أشداء لكن على الكفار فقط، إذ يتأثر بعضهم بالآخر. كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣)

أي يا أيها النبي تصدّ للكفار والمنافقين دون أن تخضع لأي تأثير لهم، فالمؤمنون يؤثرون في الآخرين ولا يتأثرون بهم، ويكون ذلك في الأمور المحدودة، لكن الملائكة لا يقبلون أي تأثير أبدا في كل الميادين ومن جميع الجوانب.

٨- إن عدد الملائكة لا يقدّر ولا يحصيهم عدّ، إذ يقول الله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: ٣٢)

٩- نستنبط من القرآن الكريم أن الملائكة يكونون فيما بينهم على شاكلة الرئيس والمرؤوس؛ إذ يكون فيهم مدير يتبع له عدد من الملائكة. فهم ليسوا فقط متفاوتي الدرجات فيكونون صغارًا وكبارًا ويكونون مستقلين بشؤونهم وأماكنهم، بل إن وضعهم وضع تابع لمسؤول أيضًا. فنقرأ في القرآن:

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١٢)

وفي موضع آخر يقول عز وعلا:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٤)

كذلك يقول في آية أخرى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ (النساء: ٩٨)

وحين نقرأ هذه الآيات معا نجد الآية الأولى تفيد بأن مهمة توفي الناس جميعا قد وكّلت إلى ملك واحد، بينما تفيد الآيتان الأخريان أن كثيرا من الملائكة يقومون بهذا العمل، مما يسشفّ على أن الملك الموكَّل واحد، لكن عددا من الملائكة المساعدين التابعين له ينجزون هذا العمل. ويمكننا أن نقيس على هذا سائر الأمور، ونقول إن جميع المهام التي يؤديها الملائكة توكّل مبدئيا إلى بعض الملائكة الكبار وتتبعهم جماعة مساعدة من الملائكة- الذين لا يحصيهم عدد- في إنجاز ذلك العمل.

١٠- إن قدرات الملائكة ومواهبهم محدودة بالقياس إلى قدرات الإنسان، إذ تبقى الملائكة على حال واحد، بينما الإنسان يتقدم ويترقى في مجال واسع، إذ يقول الله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢-٣٣)

ربّ قائل يقول هنا: لِمَ لَمْ يخبر الله الملائكة هذه الأسماء بنفسه وطلب من آدم أن ينبئهم؟ أقول ردا على ذلك، إن الله لم يخبرهم بنفسه لأنه لو أنبأهم بنفسه لشمل جوابه جميع الصفات، ولذا طلب من آدم أن يخبرهم بمعنى أن يكتشفوها وتتراءى لهم.

فالغاية أن قدرات الملائكة محدودة بالمقارنة بالإنسان، ومع ذلك فكل ما يصدر منهم فإنما يصدر امتثالا لأمر الله ومشيئته، فلا يتأتى منهم أي عصيان.

١١- إن الملائكة يتصفون بالإرادة، إلا أنها تكون محدودة جدا. ومثل ذلك كمثل الحصان المربوط بالحبل الطويل الموثق إلى الوتد، فهو يستطيع التحرك ضمن نطاق مدِّ الحبل ولا يقدر على الخروج من هذه الحلقة. كذلك فإن الملائكة تدور حول مركز، ولا يستطيعون الخروج من حدود دائرته، وذلك الحد تمثّله الآية:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٧)

إن الأرض هي الأخرى تكشف لنا أن الملائكة يتمتعون بالإرادة، إذ نقرأ قولهم في آدم حين خلقه الله، وهو:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: ٣١)

في هذه الآية سألت الملائكة الله ﷻ أن يفهمهم كيف سيعالج هذا الفساد وسفك الدماء، وإن سؤالهم هذا يدل على أنهم يتصفون-نوعا ما- بالإرادة التي لا تقودهم إلى ارتكاب السيئات والمعاصي، كما لا تتعدى الحسنات، لكن هذه الآية لا تفيد سوى أنهم أثاروا هذا التساؤل، ولقائل أن يقول: من المحتمل أنهم أثاروا هذا التساؤل تبعا لوحي قد أوحاه الله إليهم. فأقول ردا على ذلك: إنه من الخطأ الاعتقاد بأنهم أثاروا هذا التساؤل بناء على وحي من الله وذلك لأن الله تعالى يستجوبهم في الآية التالية قائلا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي إن كنتم محقين في توجيه هذا السؤال، فأنبئوني بأسماء هؤلاء. من هنا يتضح أن سؤالهم هذا لم يكن نتيجة وحي من الله ﷻ. ثم نقرأ في الأحاديث ما يحدو بنا إلى الاعتقاد بظهور إرادة الملائكة كما ورد في الحديث التالي:

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ

تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ." (البخاري، كتاب الأنبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم).

ثم تتبين إرادة الملائكة من الآية التالية:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (ص: ٧٠)

فهذه الآية تفيد بأن الملائكة يتناقشون فيما بينهم ويتجادلون، وأنهم يتمتعون بالإرادة، لكنها محدودة جدا.

١٢- إن الملائكة لا تعلم الغيب، فقد ورد في القرآن:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبأ: ٤١-٤٢) هذه الآية تفيد بأن الملائكة لا يتمتعون بعلم الغيب، لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما أبدوا جهلهم بعبادة الناس إياهم، إذ لا نستطيع القول بأن الله تعالى سألهم هذا السؤال عبثا، لأن مثل هذا السؤال- إذا كان عبثا- يمثل نوعا من الكذب الذي يتنزّه الله تعالى عنه، أضف إلى ذلك ما ورد في بعض الكتب القديمة عن عبادة فئة من الناس للملائكة.

فاعتراف الملائكة بجهلهم عبادة بعض الناس إياهم يدل على أنهم لا يعلمون الغيب، إضافة إلى ذلك يتضح من بعض الأحاديث جليا أن

الملائكة لا يعلمون الغيب. قال النبي ﷺ: إن أحدكم يسمى مؤمنا ويعمل أعمال المؤمنين، وحين تصعد الملائكة بأعماله إلى الله تعالى تسمع نداءً يقول: ردّوها إليه واضربوا بها وجهه، إنه لم يصلّ هذه الصلاة لي.

من هنا يتضح أن الملائكة لو علموا الغيب لما قدّموا هذه الصلاة المرفوضة المردودة إلى الله عزّ وجلّ.

١٣- نستنتج من الأحاديث أن لكل شيء ملكًا يختص به. فقد ورد في الحديث أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ فيما إذا كان قد أصيب بأكثر مما أصابه يوم أحد. فقال ﷺ نعم! وذلك يومَ توجهت إثر إنكار أهل مكة يوم العقبة إلى قوم عبدياليل[١] لكنهم لم يعيروا لي أي اهتمام وردّوني ورفضوني، مما أصابني بقلق وكرب كبير، فتوجهت شطر جهة دون أن أقصد سمتًا معيّنًا. رأيت في الطريق غيمة لاح لي فيها جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى- بعد أن سمع أقوال قومك ولاحظ جحودهم لك- قد أمر ملك الجبال أن ينفّذ لك ما تطلب إليه، عندئذ تمثّل لي ملكُ الجبال وسلّم عليّ قائلاً: هل ترغب في أن أُطبِق عليهم الأخشبين (وهما اسم جبلين هناك) أي أسبّب فيهما زلزالاً ليهلكوا

---

[١] هو عبدياليل بن عمرو بن عمير أحد زعماء الطائف من بني ثقيف. (سيرة ابن هشام). (المترجم)

بذلك. فقلت: كلا، عسى أن يهب الله لهم ذريّة طيبة تعبده وحده. (باختصار من صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، والبداية والنهاية ج٣)

من هنا نتبين أن جبريل أخبر رسول الله ﷺ أن الله ﷻ قد أمر ملك الجبال أن يساعده، ولم يقل إني حاضر لنصرتك، ونستدل من هنا أن للجبال ملكا يختص بها ولكل شيء ملك يعنى به.

١٤- تتجلى الصفات الإلهية المختلفة بالملائكة، فبعضهم تظهر به قدرة واحدة لله، وببعضهم الآخر تظهر أكثر من قدرة من قدرات الله، إذ يقول الله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ٢)

والمراد من "أولي أجنحة" مظاهر الصفات الإلهية، ونستشهد ونستدل من هذه الآية على كون الملائكة مظاهر لصفات الله المتنوعة، فبعضهم تتجلى به صفات قليلة، وببعضهم الآخر تظهر الصفات الإلهية الكثيرة. كما توحي الآية إلى أن الملائكة تنزل بحسب حاجة الناس إليها ووفقا لصلاحيتهم لنزولها عليهم، ولقد ظل الملائكة ينزلون بقدرات توافق طبيعة الناس وبحسب صلاحيتهم لنزول الملائكة عليهم،

ولـمّا بلغ العالم أوج كماله وروحانيته أرسل الله ﷻ جبريل بصورته الكاملة؛ الذي أخبرنا الرسول ﷺ بأن له ٦٠٠ جناح، وأنه قد نزل عليه بكتاب كامل. (البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب قوله فأوحى إلى عبده)

من هنا نستنبط أن جبريل مظهر لست مئة صفة من صفات الله تعالى، ومن الخطأ القول بأن صفات الله تعالى أقل من ٦٠٠، فكيف يمكن أن يكون جبريل مظهرا لـ ٦٠٠ صفة لله؟! إن صفات الله عز وعلا لا يحصيها العدّ، وستمئة منها فقط تتعلق بالإنسان.

لقد كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قولا لطيفا جدا وهو أن رسول الله ﷺ كان أعلم بعلوم القرآن من جبريل، وهذا عين الصواب. والسبب يعود إلى كون الملائكة الآخرين- الذين كانوا مظاهر لصفات النبي ﷺ الأخرى- في تأييده ﷺ.

إن ما تقدم يدل على أن الملائكة هم مظاهر للصفات المختلفة، وإن كلمة "الأجنحة" تعني الصفات التي يتصفون بها وليست ريشًا.

هذه الأمور تعطينا فكرة عن شخصية الملائكة، ولعل بعضا منكم قد تعرَّف إلى كلمة الملك مع بعض صفاته من خلال هذا الاستعراض. والآن سوف أخبركم عن مهامهم ووظائفهم.

وظائف الملائكة

١- من أجلّ أعمال الملائكة، كما ورد في القرآن، أنهم ينقلون الوحي:
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٦)

٢- من وظائف الملائكة، كما قال الله تعالى، الإماتة:
﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١٢)

٣- ثالث وظائف الملائكة أنها تصبّ العذاب على من يهاجم الأنبياء من الأشرار. فحين تحتكّ الملائكة مع هؤلاء الأشرار تتولّد فيها قوة مغناطيسية تحرق الأشرار، مثلما يشتعل النفط لدى اقترابه من النار، فالملائكة يماثلون النار والأشرار يماثلون النفط، وفور حدوث الاحتكاك ينشب الحريق في الأشرار. يقول الله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٩)

أي هل ينتظر الكفار نزول الملائكة لتدمّرهم، وذلك لأنها مثل الشعلة وهؤلاء مثل البارود.

٤- الوظيفة الرابعة للملائكة تتمثل في نصرتهم للمؤمنين. فالملائكة يرفدون المؤمنين حينما يستنجدون بهم، كما نقرأ في القرآن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (فصلت: ٣١-٣٢)

أي تقول الملائكة للمؤمنين "لا تخافوا ولا تحزنوا، فنحن نواليكم ونحن نساعدكم" فلا داعي للهمّ والخوف.

٥- نستدل من الآيات القرآنية أن الملائكة إلى جانب إهلاكهم الكفار والمشركين، يلقون في قلوب أعداء النبي رعبه؛ إذ يلقي الملك القرين لكل إنسان في روعه رعب النبي وجماعته؛ يقول الله تعالى:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥)

هنا يبرز التساؤل: لِمَ حدّد الله تعالى عدد الملائكة في ثلاثة آلاف؟ فالجواب، لقد حدد عدد ثلاثة آلاف مراعاةً لعدد جيش الكفار الذي كان يضم ثلاثة آلاف مقاتل. نحن نعرف أن ثلاثة آلاف من الملائكة هؤلاء لم يكونوا من الملأ الأعلى، بل تألفت هذه الثلاثة آلاف من كل ملك كان يصحب كل كافر، ولذلك قال: ألن يكفيكم أن نسعفكم

بثلاثة آلاف من الملائكة! أي عندما تخرجون لمواجهة العدو فسوف يبثّ الملك القرين لكل كافر رعبكم في قلب من وكّل إليه من الكفار، إذ قال الله تعالى أيضًا: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (آل عمران: ١٥٢)

إن الملك الذي يلازم الإنسان يلقي في قلبه رعب النبي وجماعته. ونجد مثال هذا الرعب في هذا الزمن أيضًا؛ فقد وجّه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلى معارضيه ومناوئيه دعوة المباهلة، لكن لم يُبدِ أحدهم استعدادًا لقبولها، وذلك لأنه كلما فكّر أحدهم في ذلك ألقى الملك في قلبه رعبًا ورسّخ في قلبه أنه سوف يخسر، فامتنع. بينما كنت في منتزه شِملة يومًا، جاءني أحد الآريين للمقابلة، فجرى الحوار عن "الفيدا"، فقلت له: إذا كان إيمانك بالفيدا صادقا فأقسِم على ذلك، فقال: أنا جاهز لذلك، قلت له: يجب أن يكون قسمك مقرونا بالدعاء أنه إذا لم تكن الفيدا صادقة فلينزل الله عذابا على أهلك. قال: هذا لا يتأتّى مني، أخاف أن يتحقق هذا الدعاء. عندئذ قلت له: أنا مستعد لأن أقسم مثل هذا القسم- المقرون بالدعاء على أهلي في حالة كذب القرآن- على أن القرآن صادق ووحي من الله تعالى. فقال: هذا يتطلّب جرأة كبيرة. فقلت له: إذا كان اعتقادي بصدق القرآن وبكونه وحيا من الله عز وجل راسخا، فما المانع من الإقبال على القسم.

والواقع أن الملائكة تقذف الرعب في قلوب هؤلاء، ونحن نجد لهذا الرعب أمثلة كثيرة في العصر الحاضر أيضا، فقد أعلنتُ دعوة المناظرة متحديا ولم يبارزني أحد. ثم بعد مدة وقبل بضعة أيام اندفع المتصوف السيد حسن نظامي، وقال لي: تعال، سوف أجعلك تلفظ أنفاسك في ساعة. لكنه غدا فريسة المذلة والفضائح حتى سكت نهائيا. ثم انظروا إلى حزب الديوبنديين كم نشروا من الإعلانات والنشرات، لكنهم لا يقبلون تحدّينا للمناظرة وإجراء الحوار، ومعنى ذلك أن الرعب يستحوذ على قلوبهم لدى ذكر المبارزة والمباهلة.

وذكر ابن إسحق حديث الأراشي الذي ابتاع منه أبو جهل الإبل وماطله بأثمانها، ودلالة قريش إياه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمون من العداوة بينهما، فقال: خرج رسول الله ﷺ حتى جاءه، فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ فقال: محمد. فخرج إليه وما في وجهه من رائحة وقد امتقع لونه. فقال: أعطِ هذا حقه. قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، فدفعه إليه، فذكر لهم الأراشي ذلك. فقالوا لأبي جهل: ويلك ما رأينا مثل ما صنعت. قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي، وسمعت صوته، فملئت رعبا، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني. (السيرة النبوية المسماة "عيون الأثر")

لقد فعل أبو جهل ما فعله نتيجة الرعب الذي ألقته الملائكة في فؤاده. فالحاصل أن الملائكة يلقون الرعب في قلوب الناس.

٦- والسادس من أعمال الملائكة أنهم يقيمون وحدانية الله ﷻ، وصحيح أن كل عمل يتم بواسطة الملائكة، لكن هذه المهمة قد أنيطت بكل واحد من الملائكة. لقد قال الله تعالى:

﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٩)

فالملائكة يهيئون الأسباب لترسيخ وحدانية الله تعالى.

٧- السابعة من وظائف الملائكة أنهم يظهرون صدق الأنبياء ويرسخونه، فحينما ينصرف عامة الناس إلى التكذيب يظل الملائكة يقرعون قلوب الناس ويؤكدون لهم بأن هذا الرجل صادق غير كاذب. يقول الله تعالى:

﴿لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٦٧)

أي أن الله يشهد أن ما أنزله إليك هو من عنده، والملائكة هم الآخرون يشهدون.

وتكون شهادة الملائكة على ألوان، إذ تارة يؤكدون للشخص مثلا في الرؤيا صدق النبي؛ فقد يكون رجل يعادي النبي ويعده من الكافرين،

لكن الملائكة يلقون في فؤاده من خلال الرؤيا أمرا يقوده إلى الإيمان. والواقع أن الملك القرين يظل يترقب جنوح هذا الرجل إلى الصلاح والبر- والحقيقة أن هذه اللحظة تتسنى لكل شخص؛ أبي جهل كان أو فرعون- ليغتنمها؛ فينفث في قلبه صدق النبي، ثم يترك له الخيار في الاستفادة منه أو رفضه.

٨- الثامنة من مهام الملائكة أنهم يسبحون الله عز وعلا كما قال الله تعالى:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: ٧٦)

٩- من مهام الملائكة أنهم يستغفرون للمؤمنين، لكن هذه المهمة يؤديها نوع خاص من الملائكة إذ قد كتب الله عليهم أن يدعوا للمؤمنين ويستغفروا لهم ويسألوا الله لهم العفو عنهم إذا صدرت منهم أي زلة، إذ يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٨)

أستنبط من هنا أن الخواص من الملائكة يدعون ويستغفرون للخاصة من المؤمنين، بينما يستغفر عامة الملائكة لجميع الناس الذين من بينهم

الكفار أيضا، وبذلك يجني المؤمنون فائدة مزدوجة، إذ يستغفر لهم أكابر الملائكة كما ينالون نصيبا من استغفار عامة الملائكة. والآية التي أستشهد بها على استغفار الملائكة للناس كافة هي:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٦) أي يستغفر ملائكة الرحمة لجميع الناس.

إني أرى أن الله تعالى سوف يقول في آخر المطاف لأهل النار- نتيجة استغفار الملائكة لهم- اخرجوا أنتم الطلقاء، فهو الله الذي قد وكل إلى الملائكة مهمة الاستغفار- لجميع الناس- ليخلي جهنم.

١٠- إن الملائكة يمثلون آخر علة لنواميس الطبيعة، وكل ما يجري في الكون من نزول الأمطار وجريان الرياح ووصول أشعة الشمس إلينا ومفعول السم وتأثير الترياق، فإنما يتم بوساطة تأثير الملائكة، وما من شيء يمكن أن يؤثر إلا بوساطتهم. وهذا لا يعني أن السم لا يهلك ولا يحمل في ثناياه السمية وأن الترياق ليس ترياقا بحد ذاته، وإنما أعني أن السم لا يمكن أن يؤثر في شيء ولا يقدر أن يمس أحدا بضرر ما لم يأذن له الملك الذي وكل إليه السم، وكذلك الترياق لا ينفع أحدا إذا لم يأذن له الملك الموكل به.

وقسْ على هذا القياس؛ فنحن نقرأ في المواضع المختلفة من القرآن الكريم أن تنزيل الغيث وتصريف الرياح والوظائف الأخرى العديدة

معهودة إلى الملائكة، ويطول الحديث، فهناك عشرات الأمثلة على ذلك، ونجد على أقل تقدير قرابة خمسة عشر مثالا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الملائكة هم الذين يُنفّذون قوانين الطبيعة.

وهذا ما يتجلى واضحا من خلال الأمثلة القليلة السابقة. مع ذلك إذا قال أحدهم كيف يمكن قياس نظام الكون كله على هذه الأمثلة، فأقول: إن آية "يحملون العرش" تسوغ لنا هذا القياس، أي أن الملائكة هم الذين يظهرون جميع صفات الله.

١١- إن الملائكة لا يستغفرون للناس فحسب بل يتضرعون إلى الله تعالى لينزل عليهم بركاته، لأن مجرد الاستغفار يعني أن يغض الله تعالى الطرف عن أخطاء الناس وأن يقيل عثراتهم ويعفو عنهم، لكنهم يدعون أن يسدل الله عليهم ستار الرحمة ويحيط بهم رحمةً. فلذا قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)

هؤلاء هم ملائكة الرحمة، فعندما يقوم أحد من الناس بعمل حسن ابتغاء مرضاة الله تعالى فإن هؤلاء الملائكة يباركون له ويصلون عليه، والملاحظ أنهم لا يقدرون على المباركة والتبريك بأنفسهم وإنما يلتمسون ذلك من الله عَزَّوَجَلَّ، ومثل صلاتهم ومباركتهم كمثل صلواتنا على النبي ﷺ، حيث ندعو الله عز وعلا أن ينزل بركاته على الرسول الكريم ﷺ. كذلك تلتمس الملائكة من الله أن يرحم عبده الفلاني.

١٢- إن بعض الملائكة لا يقوم بأي عمل غير العبادة، فإنه لا ينفك يعبد الله تعالى حتى تقوم القيامة، فقد ورد في الحديث أنه ما من شبر أو ذراع في السماوات السبع إلا والملائكة يعبدون هناك راكعين ساجدين، وسوف يقولون يوم القيامة: سبحانك اللهم إنا لم نؤدّ حق عبادتك إلا أننا لم نشرك بك أحدا. (البداية والنهاية، ج١، باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم)

ينبغي أن يتلقى المؤمن درسا من قول الملائكة هذا، إذ يقولون بعد هذه العبادة المطوّلة المستمرة أنهم لم ينجزوا ما كان عليهم، بينما نشاهد أناسا يتباهون بعبادتهم لأيام قلائل ولمدة وجيزة.

١٣- إن الملائكة يحفظون أعمال الناس، فيقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١١-١٢)

أي لقد وُكِّل بكم الملائكة الذين يسجلون أعمالكم الظاهرة، أما النية فعلمها عند من فُوّضَتْ إليه محاسبة القلوب.

١٤- إن الملائكة يفشون حب المقربين إلى الله بين الناس، إذ يحثُّون الناس على حبهم، لقد ورد في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيّ ﷺ قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. (البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة).

انظروا إلى هذا الزمان، فهذا زمن يتمرد فيه الناس على الحكومات ويرفضون الخضوع لسلطتهم، لكنهم في الوقت نفسه يدخلون في طاعة النبي ﷺ ويتحملون نير طاعة الإسلام، والمتأخرون يتأسفون على تأخر إسلامهم، فهذا الميل ناتج عن فعل الملائكة الذين حببوا الإسلام إلى الناس، فيُقبلون عليه من الهندوس والمسيحيين.

هذا برهان لطيف على صدق المقربين المقبولين الأحباء لله، إذ نلاحظ أن العديد من المدّعين تحفّزوا وأثاروا ضجة في زمن النبي ﷺ، وألّفوا جيوشًا ضخمة، لكنهم خسروا وكانت عاقبتهم وخيمة، بينما كان للنبي ﷺ القبول ولا يزال حبه ينتشر في أرجاء العالم.

١٥- إن الملائكة يسخَّرون لخدمة أحبة الله تعالى ويكونون كخدام للمبعوثين من الله كما ورد في الآية التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩-٣٠)

أي بعد أن أُنزل عليه الوحي بعد تسويته، أي أجعله نبيًا، فاتبعوه مطيعين منقادين له. ومعنى ذلك أن الملائكة يكونون تحت أمر النبي ويكونون أقل درجة من النبي.

١٦- إن الملائكة يطلَب منهم أن ينوِّروا بالعلم قلوبَ الذين يميلون إلى التعلم. فقد ورد في الحديث أن جبريل تمثل للنبي ﷺ بشرًا، وسأله ما

الإيمان وما الإسلام وما الإحسان، فرد الرسول ﷺ على أسئلته، فلما انصرف سأل الرسول ﷺ الصحابةَ: هل تعرفون من هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم. (البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام)

فمن مهام الملائكة أنهم ينزلون ليُعلّموا الناس. وتعليمهم لا يقتصر على العلوم الدينية فحسب، بل يعلمون العلوم في الأمور الدنيوية، حتى إن نطاق تعليمهم يتسع ليشمل الكفار. لقد قرأت لأديسون كتابًا يقول فيه إنه لم يبتكر ولم يكتشف أي علم بتفكيره، وإنما تنزل على قلبي فجأة فكرة ما وتستقر فيه، ثم أنفذّها وأطوّرها فأبتكر الصنعة. ولما كان أديسون يركن إلى الأمور العلمية، فقد علّمتْه الملائكة هذه العلوم، بينما يتلقى الأنبياء والأولياء العلوم الدينية من قِبَل الملائكة لاندفاعهم الفطري إليها.

إن أسلوب تعليم الملائكة غريب ولطيف إذ ما يريدون تعليمه لا يوْدعونه في objective mind (أي القلب العامل) بل يودعونه في sub conscious mind (أي القلب غير العامل) أي في مؤخرة الدماغ لكي يستخرجها الإنسان بالتفكير، لأن هذا الموضع يتمتع بصفة الحفظ والاختزان وهو أقدر على الحفظ والتخزين من باقي المخ، ويكون كالمستودع. ويستودع الملائكة العلوم في هذا الجزء من الدماغ إلا ما ندر.

إن الدماغ ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: أوّلها ما نشاهد الأشياء بواسطته ونستوعبها. وثانيهما يكون كمستودع تُختزن فيه المعلومات التي يتذكرها الإنسان لدى التفكير، أما الجزء الثالث فتكون فيه الأمور مختزنة لكن الإنسان لا يتذكرها حتى بالتفكير بل يلزمه التركيز الشديد ليتذكرها، ويلقي الملائكة الأمور في هذا الجزء من الدماغ أحيانًا. فحين تطرأ الحاجة إليها تظهر الأحداث التي بسببها يتذكر الإنسان تلك الأمور.

وأقول هذا من تجربتي الشخصية. كنت في الثامنة عشرة من عمري حين أصدرت مجلة "تشحيذ الأذهان"، فرأيت فيما يراه النائم أن ملكًا أتاني، فقال هل أعلّمك شيئا، فقلت تفضل، فقال: هل أعلمك تفسير الفاتحة؟ قلت نعم. كانت الرؤيا ممتعة جدًا إذ بدأت بسماع صوت ثم أخذ هذا الصوت يتوسع حتى تحوّل إلى ميدان. تراءى لي فيه شبح اتضح فيما بعد، فرأيت ملكا قال لي: هل أعلمك؟ قلت نعم علِّمْني، فقال إذن تعلّمْ تفسير الفاتحة. فبدأ يعلمني حتى إذا وصل إلى "إياك نعبد وإياك نستعين" قال: كل ما كُتبَ في تفسير الفاتحة إلى الآن لا يتجاوز هذه الآية، وصدّقته فيما قال، ثم قال: لكني سوف أعلمك بعد هذه الآية وأتابع التفسير معك. فعلّمني تفسير الفاتحة بأكملها واستيقظت، وعندما استيقظت لم أكن أذكر مما علمني الملك سوى أمرين لطيفين، ثم نمْتُ قليلاً، فلما أصبحت وجدتهما قد انمحيا هما الآخران من ذاكرتي،

وحين ذكرت الرؤيا لسيدنا الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، عتب علي ووبّخني على عدم كتابة الرؤيا فورا وقال: كان ينبغي أن تكتب ما علِّمْتَ فورًا.

بعد ذلك كلما أردت أن أتكلم عن الفاتحة في مناسبة، علمني الله مفاهيم جديدة، وهو مما علمتني إياه الملائكة. ذات يوم حصلتْ لي تجربة في هذا الأمر على نحو خاص، وتفصيل ذلك أن فريق المدرسة الأحمدية في قاديان ذهب إلى أمرتسر للمباراة مع الفريق الأمرتسري، ورافقت اللاعبين بحكم كوني حديث التخرج، وكان الفوز حليف فريقنا في المباراة. بعد ذلك عقد المسلمون هناك ندوة طلبوا مني أن أخطب في حاضريها، وكان قد سبق لي أن أخبرت أصحابي أثناء التوجه إلى مكان الجلسة عن إكرام الله تعالى لي بتعليمه إياي الأشياء الجديدة كلما قمت لإلقاء كلمة عن سورة الفاتحة. وحين وصلنا إلى مكان الحفلة وقمت إلى المنصة لإلقاء الكلمة؛ أبى لساني إلا أن يقرأ سورة الفاتحة فقط، فأيقنت بأن اختباري وشيك، فاضطررْتُ أن أتلو الفاتحة، ولم يكن يحضرني إذ ذاك عنها شيء، فتلوت الفاتحة، فألقي في رُوعي بُعيد قراءتها فهْمٌ جديد أنه حين نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم كان أول المخاطبين بها مشركي مكة وليس اليهود والنصارى، فما الحكمة في أن الله تعالى علَّمنا الدعاء بأن لا نكون من اليهود أو النصارى؟ مع أن

الحال كان يقتضي تعليم الدعاء بأن يَقِيَنا من أن نصبح يوما من الأيام من المشركين. عُلّمتُ من الله تعالى أن اليهود والنصارى كان من حظهم البقاء إلى يوم القيامة. أما المشركون فكان حظهم الانقراض، فلم يكن هناك داع للدعاء أن لا نكون منهم فشكرت الله تعالى أنه أكرمني ووقاني من الحرج.

فهذا العلم الذي يعطى من الله تعالى يسعف الإنسان دوما عند الحاجة، والحكمة في نسيانه أنه لو ترسّخ الأمر في قلب الإنسان لاستفاد منه مرة واحدة فقط، بيد أن هذا العلم يبقى موجودا ليسعف الإنسان دائما. فمثلا كلما اعترض أي شخص على الإسلام ولم أجد بجانبي حافظا يقرأ علي الآية المطلوبة.. فنّدْتُ هذا الاعتراض بقراءة الفاتحة فقط. وهكذا علَّمني الله الجواب من سورة الفاتحة وحدها، فالعلوم السماوية تتميز بإفادتها الدائمة المتجددة.

فمن وظائف الملائكة أنهم يعلّمون الناس، كما كتب محيي الدين بن عربي في كتابه "الفتوحات المكية" أن الملائكة علمته علوما جمّة. ومن المتصوفين من أثاروا البحث عن الملائكة.

ولقد تعلمت أمورًا كثيرة من الملائكة، فذات مرة عُلّمْت عن فلسفة الذنب علما شاملاً يثير استغرابي، حيث رُسمت لي تفاصيل الزلات والعثرات بأسلوب مدهش. إن الملائكة يستحثون المرء على إحراز

الحسنات ويخلقون في قلبه الأفكار والتخيّلات الحسنة. وكل شخص موكول إلى ملك مستقل، ويكون هذا النظام في الواقع تابعا لسلطان جبريل. يقول سيدنا المصطفى ﷺ:

"في القلب لمتان: لمة من الملك إيداع بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، ولمة من العدو إيداع بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم"

وهكذا فقد أخبرتكم فيما تقدم عن حقيقة الملائكة ومهامهم، ولعلكم أدركتم أن الملائكة لم يُخلَقوا عبثًا، بل إن لهم ارتباطا وثيقا بالإنسان، ومن ثم لعلكم قد وعيتم أن المسألة ليست عادية كما يحسبها العامة، بل ثبت أن لوجود الملائكة فوائد جمة.

هل ينفع الإنسان الملائكة

لنرَ الآن هل يمكن أن يفيد المرءُ الملائكةَ. أقول في ضوء معلوماتي وبحوثي واستنباطي من القرآن والحديث أن الإنسان لا يمكن أن ينفع الملائكة بأي شيء على الإطلاق إلا أن يدعو لرفع درجاتهم، إذ نقرأ في القرآن الكريم أنه حين جاءت الملائكة إبراهيم قالوا سلاما فقال سلام، لو كانت الملائكة لا تستفيد من السلام لما رد عليهم سيدنا إبراهيم، لأن التسليم دعاء في حق من يمكن أن يترقى درجة ومكانة، أما الذي لا

يتقدم ويترقى فإن الدعاء له لا يعني شيئًا، كذلك قد ورد في الأحاديث أن رسول الله ﷺ قرأ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها السلام من جبريل فقالت: وعليه السلام. (ابن ماجة، كتاب الأدب، باب رد السلام)، ولم يَنْهَها عن ذلك ولم ينكره عليها. أضف إلى ذلك أن الصحابة كانوا في بداية عهدهم بالإسلام يصلّون على الله وجبريل وفلان وفلان في الصلاة في القعدة فنهاهم النبي عن التسليم على الله، ولم ينهَهم عن التسليم على جبريل، فلو لم يكن جبريل سينتفع من ذلك لنهاهم عن ذلك أيضا. (سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب كيف التشهد الأول)

هذا كل ما يظهر لنا من انتفاع الملائكة من الناس.

الشواهد العقلية على وجود الملائكة

الآن أخبركم بأن الملائكة في الواقع موجودون، فقد قدمت لكم فيما سبق الدلائل على وجودهم من القرآن، والآن أبرهن على وجودهم عقليًا.

١- نحن نلاحظ أن ثمة قانونًا واحدًا غير قابل للرفض وخاضعًا للإرادة وهو نافذ في الكون بأسره، نشاهد مثلاً أن سير وتحرك الكواكب في السماء محكم ومنسق لدرجة لا يمكن القول بأنه تلقائي وبدون محرك، ثم الأرض العامرة هذه، التي قد استنزف الفلكيون جهودهم ليثبتوا أنها كوكب صغير ليس له شأنٌ يذكر، لكنهم في النهاية قالوا إنها واقعة في

المركز. وفي هذا نقول: لماذا وُضعتْ في المركز، ولماذا حظيت بموقع مركزي..؟ في الواقع كان من الضروري أن تؤثّر فيها جميع النجوم والأقمار والكواكب لكونها مسكنًا لبني البشر، ولم يكن ذلك ليتحقق إلا أن تكون في الوسط. من هنا نستدل على أن خلقها كان مخططًا له وليس عشوائيا، فقس على هذا نظام الكون بأسره.

قبل سنين ظهر كوكب في السماء، وتكهن علماء الفلك بأن الأرض سوف تُدمّر باصطدام هذا الكوكب بها، لكنه بعد مدة غيّر مساره ولم يحدث شيء. وبمثل هذا قد تنبأ الفلكيون في الماضي مرارا أن الأرض سوف تدمر نتيجة ارتطام الكوكب الفلاني بها. مثل هذا الكوكب يكون من الكواكب الصلبة الضخمة التي يمكن أن تبيد الأرض إن اصطدمت بها، لكنها تُغيّر مسارها حين توشك أن ترتطم بالأرض. ومما يثير الاستغراب أن المذنبات أحيانا تقترب من الأرض ومن ثم يصطدم ذنَبها بالأرض، ولا يلحق هذا الاصطدام أي ضرر بالأرض لكونه من الذرات الدقيقة، إذ لا يخلف احتراقها أي ضرر.

قبل سنين أعلن علماء أوربا أن كوكبا سوف يمر بالقرب من الأرض الأمر الذي سيؤدي إلى دمار الأرض وخرابها، فانتحر الكثيرون لدى سماع هذا النبأ بتصور تلك الآلام الناجمة عن هذا الحادث، ثم أتى ذلك الكوكب ومر مرور الكرام ولم يحصل أي ضرر. وأوّلَ الفلكيون هذا

الحادث قائلين إن ذرات هذا الكوكب كانت دقيقة ولطيفة لدرجة أنه حين اقترب من الشمس تحول ذنبه من اليمين إلى الشمال نتيجة ضغط أشعة الشمس عليه.

يتجلى من هذه الأمور والأحداث أن هذا النظام الهائل يخضع لتخطيط منسق، ولو لم يكن وراء هذا كله كائن ذو عزم وإرادة لفسد العالم كله. هنا يبرز التساؤل: مَن هو هذا الكائن ذو الإرادة. الله تعالى يقول إنهم ملائكة، فكل شيء في العالم هو تحت سيطرة الملائكة، والملائكة يديرون هذا النظام. لقد تبين لي شخصيا أن كل شيء يخضع لسيطرة الملائكة ويعمل بإرادتهم. وتفصيل ذلك أنني أُصبت ذات يوم بحمّى، وتناولت الأدوية لكنها لم تفدني، وحين جاء السيد تشودري ظفر الله خان لزيارتي برفقة صديق له، استدعيته إلى جنبي، وقبْل أن يدخل علي أغمي عليَّ، فرأيت بعوضة مثُلت أمامي، فقالتْ: اليوم سوف تزول الحمى. فلما دخل عليَّ السيد ظفر الله خان مع صديقه الطبيب المعالج وبعض الزوار الآخرين أخبرتهم بذلك الكشف، فلما أراد الطبيب أن يقيس الحرارة كانت الحمى قد زالت.

فهذه البعوضة لم تكن في الأصل بعوضة، بل إن الصوت الذي تناهى إلى أسماعي كان للملَك الذي وُكِّلت إليه بعوضةٌ، وما من شيء يعمل وِفق نظام وتحت إرادة إلا وهو برهان على وجود الملائكة.

٢- إن تركيب جسم الإنسان يدل على وجود الملائكة، إذ قد أثبتت الدراسات الحديثة أن كل ما نشاهده من أشياء هي ليست في الأصل كما تبدو لنا، فالإنسان مثلا لم يتركب جسمه من شيء واحد، بل إنه مجموعة من ملايين الجزيئات، المؤلفة بدورها من ملايين الذرات، وكل ذرة منها مركبة من ذرات دقيقة لطيفة. ولقد اكتشف عالم أميركي ذرة تمر من جسم الإنسان بحيث تدخل من جهة وتخرج من أخرى، بينما الهواء لا ينفذ عبر جسم الإنسان.

فثبت من هذه الدراسات المادية أن كل ما يتراءى لنا يتكون من أدق الذرات وألطفها. ولما كان كل شيء يستمد قوته من مصدر لطيف خافٍ عن أنظارنا، فلا بد أن هناك سرًا في رجوع كل شيء إلى هذه اللطافة والدقة. والسر أن الأشياء كلها تحت سيطرة الملائكة، وهم بدورهم كائنات لطيفة جدا؛ فإن انتهاء كل شيء إلى الذرات الدقيقة والأدق، يقودنا إلى الاعتقاد بأن ناظمي هذه الذرات ينبغي أن يكونوا لطيفين. وإن لطف الأشياء يدلل على الأرواح اللطيفة التي تديرها، وهي الملائكة.

٣- إن شهادة الثقات على وجود شيء ما تبعث على الاعتقاد بوجوده، فإذا كنا نؤمن بوجود لندن لشهادة الذين زاروها، فما الذي يمنعنا إذن من الإيمان بوجود الملائكة لشهادة عدد كاف من الناس، وإذا كانت الشهادة لا يُعتمَد عليها فيجب أن تُعَدّ لندن مدينة عند من

زاروها فقط، والذين لم يزوروها يحق لهم أن يرفضوا وجودها. ولقائل أن يقول: إنه بإمكان كل إنسان أن يزور لندن، لكن ليس بمستطاع كل واحد مشاهدة الملائكة. وهنا أقول بأنه من الخطأ القول: إن كل شخص يمكنه أن يشاهد لندن، إذ تقتصر زيارة لندن على من يملك النقود، كذلك تماما يمكن للإنسان رؤية الملائكة بالمجاهدة والرياضة الروحانية مثل الذي يوفر النقود ليتمكن من السفر إلى لندن.

فشهادة آلاف من الناس على وجود الملائكة تدل على أنهم موجودون حقا.

٤- الدليل الرابع نلاحظه كل يوم، أو على أقل تقدير يلمسه كل إنسان في نفسه؛ إذ ينشأ في قلبه حافز ليس له أي علاقة بتخيّلاته وأفكاره، بل يكون هذا الحافز على عكس تيار أفكاره، ويكون قويا لدرجة لا يقدر عندها على مقاومته، وهذه الحالة تعمّ الجميع حتى الكفار والملحدين؛ فنقرأ في كتب بعض الدهريين القول: لقد نشأ في نفسي حافزٌ قادني إلى مكان معين، فلما وصلت هناك وجدت أمامي رفات. فمن ذا يثير في نفس الإنسان مثل هذه الحوافز؟ ألا إنهم الملائكة.

فمثل هذه الشهادة يدلي بها الماديون، أما الروحانيون فحياتهم حافلة بمثل هذه الأحداث، إذ فجأة يعتريهم حافزٌ لا يمت إلى أفكارهم بصلة،

ويجدون أنفسهم مدفوعين إلى تنفيذ هذا الحافز، ويكون هذا الحافز والدافع من قِبَل الملائكة، ويدل على وجودهم.

ضرورة الملائكة

قد بينت لكم فيما سبق الأدلة والشواهد من العقل على وجود الملائكة. والآن أتناول موضوع ضرورة الملائكة، لأن ضرورة أي شيء تفرض أن يكون في حيز الوجود، إذ يتجلى لنا من دراسة قوانين الطبيعة أن كل ما ثبتت ضرورته فإنه موجود لا محالة، فالحاجة إلى شيء ما تُثبت بصورة غير مباشرة وجوده. لذا أخبركم الآن عن ضرورة الملائكة.

١- إن النظام الروحاني يماثل النظام المادي، وتقاس الأمور الروحانيّة على الأمور الماديّة، لأن هاتين السلسلتين متوازيتان إلّا إذا اقتضى الحال خلاف ذلك. ونلاحظ في الأمور الماديّة تسلسلاً واسعًا للأسباب الخفيّة الدقيقة ينتهي إلى غازات غاية في اللطف والدقّة، بل يتجاوزها ويتحوّل إلى طاقات ماديّة. وتُسمّى منابع هذه القوّة- عندنا- ملائكة. وغاية الأمر أن النظام الماديّ يتطوّر وينتقل من لطيف إلى ألطف وأدقّ حتّى يختفي نهائيّا ولا يمكن أن نشاهده، وينبغي أن يكون النظام الروحانيّ مثله. والحلقة الأخيرة لهذه السلسلة الروحانيّة هي الملائكة. ومن الخطأ القول أن الأسباب تقتصر على الأشياء الجسمانيّة فقط، فأحد الفلاسفة قد كتب عن الأمور الماديّة أنه لا يحدث حادث عشوائيّا وتلقائيّا، بل

لكلّ شيء دوافع بعيدة وعميقة. فإذا كانت الأمور الماديّة لا تستقيم دون أسباب، فما الذي يسوّغ لنا رفضَ الأسباب والبواعث في الأمور الروحانيّة، لأن التشابه ضروريّ، فالنظام الروحانيّ يحتاج إلى الملائكة.

٢- إننا نلمس في كل شيء تطوّرًا ونموًّا، ولقد توصل العلماء بشمول مسألة التطوّر إلى تبنّي فكرة أن الإنسان لم يكن في البداية على هيئته الحاليّة، إذ كان في أول الخلق على شكل دودة ثم تقدّم واستمرّ ليتطوّر تدريجيّا من حالة إلى أخرى حتّى اكتسب شكله الحالي. إن تفسير هذه النظريّة يبدو خاطئًا، ويمكن دحضه بعدّة طرق، ولكن مما لاشكّ فيه أن التأمل في هذه المسألة يبرهن على أن التحوّل- أي تحوّل شيء إلى شيء آخر- في الظروف المتباينة، يتم إما بالتدرج أو عبر الوسائط. أما الانتقال الفوري فمستحيل. فرغبة الإنسان العارمة في تحقيق أعلى درجات الرقيّ والتقدّم، وحرقته ولوعته إلى لقاء الله تعالى من جهة ومنع كثافة جسمه الحالي إياه من لقاء ربه- أي حيلولة كثافة جسمه الحالي دون لقاء ربه- من جهة ثانية؛ تفرض علينا الاعتقاد بوجود واسطة بين الإنسان وربه، فتكون هذه الواسطة من جهةٍ مخلوقةً، وصالحة وروحانية من جهة ثانية، وتلك الواسطة هي الملائكة.

يحكى أن شخصا تسلق منارة شامخة ولم يستطع الهبوط منها، فربط أحدُهم بكرةَ خيطٍ رقيق بسهمٍ ورماه إليه، فأمسكه، ثم أدلى بهذا الخيط

الرقيق إلى رفيقه ليربط به خيطا أسمك قليلا، فسحبه إليه، وكرَّر هذه العملية حتى ربط زميلُه في المرة الأخيرة سلسلة متينة، فهبط بواسطتها. وهكذا تكون علاقة العبد بربه بوساطة الملائكة، فهم يمثّلون الحلقة المتوسطة التي تربط الإنسان بالله تعالى، فيتمكن من نيل فضل ربه، فوجود الملائكة ضروري لخلق الروابط بالله تعالى.

٣- إننا نلمس في العالم المادي صيغتين لنمو الإنسان الجسماني، إحداهما تعمل لصالح الإنسان دون أن يعرف ذلك؛ فنقرأ في القرآن قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ (النحل: ١٣)

يقولون في العربية عن شيء أنه "مسخّر"، إذا نفعنا دون أن ننفق عليه شيئا. يقول الله تعالى: لقد سخرنا لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، فلا تبذلون أي جهد لإدارة هذا النظام، يحل الليل وينسلخ منه النهار بدون أن تتكبدوا أي جهد ومصروف، كذلك فإن الشمس تحرق والقمر ينير والكواكب والنجوم تؤثر بدورها بغير حول منكم ولا قوة ودون أن تتجشموا أي تعب.

هذا النظام الذي أشار الله إليه يقودنا إلى الاعتقاد بأن الله تعالى قد سير نظاما يعمل لصالح الإنسان تلقائيا دون أي دخل منه. إن أشعة

الشمس مثلا تتمتع بقوةٍ من نوعٍ لو وُضعت زجاجاتٌ بألوان مختلفة مملوءة بالماء في الشمس، لتولدت فيه قوة يمكن أن تعالج به أمراض عدّة، كما أن نور القمر يساعد الخضار على النمو والنضج، ولقد شاهدت القثاء ينمو في الليالي المقمرة وسمعت صوته. وثمة نباتات أخرى تتأثر بنور القمر تأثرا ملحوظا، قدمتُ اثنين منها على سبيل المثال لا الحصر، وقد اكتُشفت آلاف التأثيرات لهذه الأجرام حتى الآن، والتي لم نتوصل إليها بعد فلا حصر لها.

فالقمر والشمس والنجوم لها تأثيرات هائلة. ولقد اكتشف العلماء أن جراثيم السل تموت بالشمس، فهم يعرّضون المريض بالسل لأشعة الشمس كعلاج له. فنظرا إلى هذا العلاج الجديد بإمكانكم أن تدركوا ما تجلبه لنا الشمس من منافع.

حين يذهب أحدكم لزيارة مريض السل يمكن أن تنتقل إليه جراثيم السل بالعدوى فتهلكه، لكنه حين يتعرض لأشعة الشمس لدى العودة من عنده فإن أشعة الشمس تقتل هذه الجراثيم التي دخلت في جسمه، دون أن يشعر بذلك، فينجو.

فهذه سلسلة تعمل لصالح الإنسان دون أي تعب منه أو جهد، وهناك سلسلة أخرى يستفيد فيها الإنسان من الأشياء ببذل الجهود وتكبّدِ التعب؛ مثل تحضير الخبز من الغلال، وبناء البيوت من الطوب والآجرّ،

وصناعة المركبات من الخشب والحديد، واكتشاف العلوم الجديدة وغير ذلك. ومما يسترعي انتباهنا أنه ليس من المعقول أن يجري الله ﷻ لنمو الجسم الإنساني هاتين السلسلتين ولا يخلقَ لحياته الروحانية شيئًا. فالتشابه بين السلسلتين الجسمانية والروحانية يضعنا أمام سؤال: كما أن القمر والشمس والنجوم تؤثر في النظام الجسماني المادي للإنسان وتفيده من تلقاء نفسها، فهل هناك سلسلة تنمّي روح الإنسان وتنفعها؟ الجواب: إن الله تعالى قد خلق لهذا الغرض ملائكة يخلقون في الإنسان روحانيةً ويحافظون عليها، ولكن كما لا تقدر أشعة الشمس على قتل جراثيم السل عند تفاقم المرض ويكون المريض بحاجة إلى الدواء والعلاج؛ فالمريض الروحاني هو الآخر يحتاج إلى العلاج عند اشتداد مرضه.

الرد على الاعتراضات على وجود الملائكة

الآن أتناول الاعتراضات التي تثار عادة على وجود الملائكة لأدحضها:

١- يقول الناس: إذا كانت هناك في الواقع ملائكة فلمَ لا تتراءى لنا؟ هذا مما يُضحكني ويبعثني على الضحك، وذلك لأن مئات الأشياء في العالم لا نستطيع أن نراها بعيون مادية، لكننا نؤمن بوجودها. فأسأل هؤلاء: هل يتراءى لهم الطعمُ والذوقُ؟ فالكل يعرف أن الطعم لا يدرَك بالمشاهدة وإنما نتذوّقه باللسان. ثم أقول: هل منكم من رأى الصوت

بعينيه الماديتين؟ سيقولون إن الصوت يُسمع بالأذن ولا يُرى بالعين. ثم إذا سألتُ أحدَكم هل شاهد يومًا الخشونة والنعومة، فسيقول إنهما يدركان باللمس. ولو سألت أحدكم إن كان قد تمكن يومًا من الأيام من رؤية الرائحة، فسوف يقول لا، لأن الرائحة نشمها بالأنف ولا يمكن رؤيتها بالعين. وتخلص هذه الإجابات كلها إلى أن إدراك جميع الأشياء ليس مقتصرًا على الرؤية فقط، بل ثمة حواس أخرى ندرك بها الأشياء المختلفة. وكما أن الإنسان لا يقدر على رؤية الهواء وإنما يدركه بتحريكه الأشياءَ، كذلك هناك قوى أخرى كثيرة- منها قوة الذاكرة مثلاً- لا نستطيع أن ننظر إليها، فمن منكم يقدر على إدراكها بالتذوق أو الشم أو الرؤية؛ فإنما تُدرَك بتأثيراتها.

ومن هنا عرفنا أن هناك أشياء نؤمن بها دون أن نشاهدها أو نسمعها، لكن ندركها بوسائل أخرى غير البصر والسمع، ولذلك بإمكاننا أن نؤمن بالملائكة من خلال تأثيراتهم، وليس من الضروري أن يراهم كل شخص حتى يؤمن بهم.

٢- الاعتراض الثاني يُعرَف باعتراض العلماء، ويوصف بأنه قوي، إلا أنني أقول إن هذا الاعتراض ناتج عن جهلٍ ليس دونه جهل. يقول أصحاب هذا الاعتراض هل كان الله عَزَّ وَجَلَّ بحاجة إلى الملائكة حتى خلقَهم؟ أقول ردًّا على هذا إن الله تعالى هو خالق الملائكة، والمعلوم أن

خالق أي شيء لا يكون محتاجًا إلى خلقه، ولو كان الله تعالى قد أحضر الملائكة من مكان آخر لكان يمكنهم أن يصفوه بأنه محتاج إليهم. لكنْ إذا كان الله تعالى هو الذي خلق الملائكة، فكيف يمكن أن يوصف بالاحتياج إليهم، وذلك لأن حاجة المرءِ تكون إلى غيره وليس إلى شيء يمتلكه ويسيطر عليه، ولـمّا كان الله تعالى هو الذي خلق الملائكة، فلا يسَع أحدًا القول بأنه محتاج إليهم، والاعتراض وليد الجهل ليس إلا.

ويمكن أن نفنّد هذا الاعتراض على النحو التالي: إننا نلاحظ أن لكل شيء في العالم المادي أسبابًا معينة، وإن الذين يقولون بأن الإيمان بالملائكة يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الله تعالى بحاجة إليهم، يؤمنون في الوقت نفسه بأن تناول الطعام لإزالة الجوع داخل في سنن الله تعالى. نحن نسألهم قائلين: هل كان الله تعالى بحاجة لسنّ هذه القاعدة[١]؟ وهل يجعلنا عملُه هذا نعتقد بأنه محتاج. كذلك قد سنّ قانونًا بأن يشفي المريضَ بتناول الدواء، فهل كان الله تعالى بحاجة إلى الدواء لشفاء المريض؟ كذلك قد جعل الشمس للإنارة، أوَلم يكن في وسعه أن ينير الأرض بدون أن يخلق الشمس؟ ومن أدراكم بأن سنّ القوانين في النظام المادي لا يمسّ قدرتَه، بينما تنتقص قدرته لو خلق الملائكة –كوسائل– في النظام الروحي.

[١] أي أن يحقق المرء درجة الشبع بواسطة تناول الطعام. (المترجم)

والرد الثالث على هذا الاعتراض ما يلي: إنما يعاب على المرء استخدامُ تلك الوسائل فقط التي لا يقدر على الاستغناء عنها، وإن استخدامه لتلك الوسائل التي هي تحت تصرفه ويستطيع التحكم فيها لا يمسّ قدرته؛ فمثلا إذا كان شخص قد عتب على أحد أصدقائه ولم يردْ أن يتحدث إليه شخصيًّا ومن ثَم أرسل إليه رجلاً آخر ليقول لصديقه ألا يزوره، فهل سوف يعتقد هذا الأخير بأنه أبكم لأنه لم يكلّمْه؟! كلّا لا يمكن أن يصدر منه هذا القول علمًا بأنه يكلّم الآخرين. كذلك نرى أن الله تعالى قد خلق الملائكة بغير استخدام الوسائل والأسباب، فثبت أنه يقدر على كل شيء دون اللجوء إلى استخدام أي واسطة، وإنما خلقَ الملائكة وسائط لحكمة يعرفها ﷻ وليس لأنه افتقر إلى الملائكة ولم يستطعْ أن ينجز عملاً ما دون مساعدتها.

الجواب الرابع لهذا الاعتراض: إنكم تصفون تعيين الملائكة احتياجا بينما نسميه حكمةً. فالحكمة الكامنة في خلق الله تعالى الملائكةَ هي أن التوسع في العلوم وانتشارها يترتب على أسباب معينة؛ فمثلاً لو لم تكن خصائص الدواء خفية غامضة لما حصل هذا التقدم الهائل في هذا الميدان. فالتوسع في العلوم يقتضي وجود الأسباب الخفية الغامضة، لأنه لا تقدمَ ولا توسعَ في الأمور البدهية الجلية، لذا قد خلق الله تعالى الأسباب الخفية في كل شيء ليتقدم الإنسان ويترقى، وتتوسع هذه

الأسبابُ بقدر ما يكتشفها العلماء، ويكسب المرء الصيتَ وينتفع بقدر ما يبذل من الجهود في اكتشاف هذه الأسرار. فلو كانت الحمّى مثلا تزول تلقائيًّا لما تميّز ذلك الطبيب الذي واصل بحوثه ودراساته في هذا المجال حتى اكتشف العلاج بالكينا، ولَما حصل هذا التقدمُ الذي حصل في هذا الميدان، فهذه الأسباب المبطّنة الغامضة تمثل سببًا قويًا لتطورِ العلوم وتقدمِها في العالَم، ولو لم تكن هذه الأسرار لما تميّز أحدهم عن الآخر ولَمَا ارتقى إلى المناصب العليا.

الحال نفسه في عالم الروحانية؛ إذ قد خُلق الإنسان ليتقدم في الروحانية وقد وُضعت لذلك أسباب معنوية خفية، فالذي يتبنى هذه الوسائل يظفر بالنِعم والدرجات؛ فلا مناص من الخفاء والغموض للتقدم. فمن الخطأ أن يُقال: إن الاعتقاد بوجود الأسباب يقودنا إلى أن نَصِف الله تعالى بأنه محتاج مفتقر، إذ لا يدل وجود هذه الأسباب الخفية على عوز الله تعالى، بل يثبت افتقار الإنسان إليها ليتقدم على جادة الرقي باتخاذها. إذا كان الله تعالى قد سن قانونا مفاده أن حرثَ الأرض إلى عمق معين يؤدي إلى محصول جيد أي أنّ مَن عَزَق الأرض من الحرّاثين جيدًا فسوف يجني الثمار الجيدة؛ فإن الله لم يضَع هذا القانون لحاجته هو وإنما حدّد هذه القاعدة لصالح المزارعين، لأن الذي يطمح إلى حصاد جيد واكتساب اسمٍ بين الفلاحين فإنه بحاجة إلى هذا العمل، ولو لم يكن قطْف الثمار متوقفا

على بذل الجهود واتخاذ الوسائل العلمية الحديثة لما كانت لأحد من الفلاحين أي فضيلة على غيره، ولافتقدت روح التنافس التي نلاحظها اليوم. وثانيا؛ لو لم تكن ثمة أسباب خفية لما ظهر جلال الله على الناس ولما عظّموه، أي لو كانت كل الأمور مكشوفة متبلورة فكيف كان جلاله ليظهر على الناس؟ فالإنسان بقدر ما يواصل بحوثه ودراساته في مجال ما يكتشف أمورًا جديدة، ومن ثم ينقاد إلى الاعتراف بوجود الله تعالى. فخلق هذه العلل الخفية لا يتم عن احتياج الله تعالى لها، وإنما يدل على أنه لإصلاح الإنسان وصالحه.

إن هذه الأسباب التي باكتشافها يفوز الإنسان بالتقدم والمدارج والشرف، تمثل الملائكة آخر حلقاتها. ولقد انكشفت هذه الأسباب على سيدنا محمد ﷺ بغزارة، حتى لم يلحقْه أي إنسان فيما حقق من الإنجازات والدرجات. كذلك قد ظهرت هذه العلل على سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، ففاز بمكانة وشرف عظيمين، ثم انكشفت عليّ أيضا، فوهبني ربي مكانة مرموقة، ولو لم تكن هناك أسباب خفية مكنونة لما وُجد هذا التفاوت بين درجات الناس، ولكان الناس كلهم سواسية، وبذلك ينال كل شخص درجة بقدر ما يكتشف من هذه الأسباب.

ومما لا شك فيه أن المسبَّب بصفة عامة يظهر والسبب يخفى، وإن اكتشاف ذاك الخفي لَيدفع الإنسان لتجشم العناء الذي يترتب عليه

الثواب والسعةُ في العلم ويرغّبه فيه، ومن الطبيعي أن الشيء الخفي يسترعي اهتمام الناس، وإن مفعول الأدوية واكتشافها هو من هذا القبيل، وكان لا بد من وجود أسباب روحانية خفية ليزداد الناس باكتشافها علمًا روحانيًّا ولتتفاوت مساعيهم وجهودهم فيتفاضل بعضهم على بعض ويتسنى لهم استباق الخيرات، ولكي يكتشفوا كنه خفايا العلوم الغامضة ويستكشفوا أسرارها، ولكي يزدادوا يقينًا وعزمًا، ولكي تتجلى عليهم قدرات الله اللامتناهية. وكيف كان يمكن أن يُحكِم الله عز وجل ويجيد النظام الذي يخفي وجودَه، ثم يجعل السلسلة التي تكشف وجودَه وتُجليه محدودةً؟ إذن، لا ينشأ السؤال أن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى الملائكة.

٣- **أصحاب هذه الاعتراض يقولون:** نحن نلمس أن لكل حدث في الدنيا علة، فمن أين لنا الاعتقاد بأنه يتم بواسطة الملائكة؟ فنحن نعرف مثلا أن حدوث تغيّرات معينة في الجو يخلق العاصفة، كما نعرف أن البخار ينبعث نتيجة حرارة الشمس وأن السحاب يتألف من هذه الأبخرة فينزل المطر؛ كيف نعتقد بأنه يحدث بواسطة الملائكة؟ في قديم الزمان كان الناس يقولون لجهلهم إن الملائكة ينهلون من البحر ثم يرشون تلك المياه على الأرض على صورة المطر، ولا يمكن لأحد في زمن التطور والتقدم هذا أن يعتقد بمثل هذا الاعتقاد.

إنني أقول ردًا على هؤلاء الناس إنهم لم يستوعبوا هذه النظرية المتعلقة بالملائكة على نحو سليم، فنحن لا نقول إن السبب المباشر لنزول المطر هو الملك، وأنه يعبّ الماء من البحر ثم يُمطر الأرض بهذا الماء، بل نحن نقول إن عملية تبخر المياه التي تسبب المطر قد أسندت إلى الملك، وبهذا نحن لا ننكر وجود أسباب أخرى، وإنما نقول إن العلة الأخيرة هي الملك، وهو يديرها في نهاية المطاف، نحن لا ننكر الأسباب المتوسطة وإن كانت تعد بالملايين، إلا أن نهاية كل الأمور إلى الملك.

٤- الاعتراض الرابع يتمثل في قولهم: إن التغيّرات تتبع القواعد المتعددة، فمثلاً إذا كان من يصيب المرء بحمى هو الملك فلمَ يبرأ المريض بتناول الجرعة من الدواء، كذلك إذا كان المرض يزول بالمداواة فأنى لنا القول بأن الملك هو الذي سبب المرض، هل يهرب الملك عندها؟ هذا الاعتراض أيضًا وليد الجهل؛ إذ أننا لا نقول إن الملك كائن ذو قدرة مطلقة، وإنما نقول إن الملائكة يُظهرون تأثير الأشياء ومزاياها. فحينما يتناول المرء تلك الأشياء التي تسبب الحمى التي قد قُدر لها من الله أن تصيب صاحبها بالحمَّى، فإن الملك الموكل بإظهار الأسباب البدائية لمزايا تلك الأشياء يسبب الحمَّى نتيجة تناول شيء منها. لكن عندما يستخدم المرء تلك الأشياء التي تظهر خصائصها بصورة زوال الحمى نتيجة لسلسلة متتالية دقيقة وخفية للأسباب، يبدأ الملك بسحب تأثيره بحسب قواعد معينة محددة.

فمن الخطأ القول إن الملك الذي وكل إليه المرض يهرب لدى تناول الدواء، بل الواقع أنه يسحب تأثيره حين يبدأ ظهور تأثير ذلك الملك الذي أسند إليه الدواء.

لماذا أمِرنا بالإيمان بالملائكة

الآن أريد أن أقول شيئًا عن وجوب الإيمان بالملائكة ولماذا أمِرنا بالإيمان بها؟ ويمكن أن يقول القائل: صحيح أن الملائكة مخلوقات مفيدة حسنة وبوساطتهم يظهر تأثير الأشياء، لكن الكينا أيضا شيء مفيد وهو يزيل الحمَّى، فلماذا لم نؤمر بالإيمان به. وكذلك تقولون إن الملائكة يسببون نزول المطر، فالشمس هي الأخرى سبب لنزول المطر، فلمَ لمْ نؤمَر بالإيمان بها وإنما أُمرنا بالإيمان بالملائكة فقط؟

للإجابة على هذا التساؤل ينبغي أن نعرف لماذا أمِرنا بالإيمان بالرسول والكتب السماوية؟ وإذا عرفنا ذلك فلسوف يُكتشَف ذلك الأصل الذي بموجبه نؤمر بالإيمان بشيء ما ومن ثم نطبّقه على الملائكة. الحقيقة أن الكائن الذي يستحق الإيمان بالذات هو الله وحده، أما الرسل والكتب السماوية فإنما نؤمن بها بحكم كونها وسائل تقود إلى الإيمان بالله تعالى، فليست الرسل والكتب مقصودة في حد ذاتها.

لقد أُمِرنا بالإيمان بالكتب السماوية لأنها تعرفنا بالله تعالى وتقودنا إلى لقاء الله تعالى، وبكونها كلام الله تعالى تنبه الإنسان إلى حضرة الأحدية،

ومما يستوجب الإيمان بالرسل هو إثباتهم وجود الله بالبينات والبراهين. فالإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر يقودنا إلى الإيمان بالله تعالى. فهناك خمسة أشياء أمرنا بالإيمان بها وهي:

١- الملائكة، ٢- الكتب، ٣- الرسل، ٤- القدر، ٥- البعث

إن ضرورة الإيمان بهذه الأركان هي لكونها وسائل تؤدي بنا إلى الإيمان بالله تعالى، وإنني أعرض عليكم الآن البحث المتعلق بالملائكة، أما الأمور الأخرى فإذا ما بحثتم فيها ودرستموهما فسوف تجدون أن الغرض من الإيمان بها يكمن في كونها تقود الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، ولذلك قد فرض علينا الإيمان بها. وانطلاقا من هذا المبدأ نقول: إذا كان الملائكة أيضًا يدفعون الإنسان إلى الله، فلا مندوحة من الإيمان بهم.

إن الذين يهجرون الله تعالى في العالم على نحو عام إنما يهجرونه من أجل هذا الانخداع؛ إذ لا تتجاوز عيونُهم الأسباب المادية؛ فحين يلاحظون أن الدواء- مثلاً- يزيل الحمى، يقولون: من هو الإله الذي يؤمنون بأنه يشفي المريض، إنما الدواء هو الذي يشفي من الحمى. وعلى هذا القياس فهم يرفضون وجود الله تعالى لأسباب مادية، بينما يشير الإيمان بالملائكة إلى أن آخر علة لكل شيء هي الملك، وهذا الأمر يحمل في طياته جميع العلوم؛ ذلك لأن الله تعالى قد أخبرنا أننا إذا بحثنا عن كنه كل شيء فسنجد له سلسلة من الأسباب الخفية الدقيقة جداً.

انظروا في زمن كان العالم فيه يعتقد أن لكل شيء أسبابا قريبة مباشرة، فأخبر الإسلام أن لكل شيء أسبابًا خفية مطوية. اليوم ابتكروا المجهر واكتشفوا بواسطته أن الجراثيم تسبب الطاعون، وأن هناك أسبابًا لتولد هذه الجراثيم، ولتلك الأسباب أسباب أخرى، وهذه السلسلة تنتهي إلى الملك، وفوقه الله عز وعلا.

فالإيمان بالملائكة يوصلنا إلى الإيمان بالحلقة الأخيرة للأسباب، ومن ثم الإيمان بالله خالق كل شيء.

لقد وردت كلمة الإيمان في القرآن الكريم لمفاهيم ودلالات أخرى. فللإيمان معنى عام، لكنه لا ينحصر في تصديق أحد، بل إن مفهوم الإيمان يتسع ليشمل الامتثال للأوامر، إذ يقول الله تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٧)

والطاغوت هو الشيطان. فالآن إذا حصرنا معنى الإيمان في رفض وجود شيء ما، فسيكون معنى هذه الآية أنه لن ينجو من الهلاك إلا من أنكر وجود الشيطان وآمن بوجود الله تعالى، لكن هذا خاطئ بالبداهة، لأن القرآن الكريم يقرّ بوضوح بوجود الشيطان ووجود الله تعالى. فالمراد من الإيمان في هذه الآية هو طاعة أوامر الله تعالى وجحد ما يدعو إليه الشيطان. والآن إذا طبقنا هذا المعنى على الإيمان بالملائكة فسيكون

مدلول الآية الاستجابة لما تحث عليه الملائكة. كذلك فالإيمان بالكتب والرسل يعني تنفيذ الأوامر الواردة في الكتب والامتثال لما يأمر به الرسل، ويكون معنى الإيمان باليوم الآخر أن نتحاشى المنكرات والسيئات لتصور هذا اليوم. فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله يعني الإذعان لأوامرهم. وإذا قال أحدهم: إذا كان هذا هو المراد من الإيمان فلماذا حُصر في هذه الأربعة فقط، فثمة مجددون وخلفاء الأنبياء وأولياء، فينبغي أن تكون الاستجابة لأوامرهم من الإيمان، وأن يكون إنكارهم كفرًا.

أقول ردًا على هذا السؤال: صحيح أن الخلفاء والمجددين يأمروننا بالحسنات، لكن هناك فرقًا بين أوامر الله تعالى وملائكته ورسله وكتبه وبين أوامر هؤلاء الخلفاء والمجددين. إن الإيمانيات تتضمن أولئك الذين يفضي رفض أدنى أمر لهم إلى الكفر. وأدنى خلاف معهم يؤدي بالإنسان إلى الكفر.

على سبيل المثال إذا قال أحدهم: إن ما أمر به الرسول ﷺ من غسل القدمين في الوضوء هو خطأ، فقد كفر، إلا أنه من الجائز أن يكون المرء على خلاف مع الخليفة في التفاصيل والفروع. فمثلاً إذا فسَّر الخليفة آيةً من القرآن ولم يفقهه أحد، جاز له أن لا يقبل ذلك، لكنه إذا قال: لا أقبل تفسير النبي ﷺ للآية الفلانية فقد كفر، فلا يجوز لأحد أن يرفض حتى حرفًا مما نطق به ﷺ، ولا يسوغ لأحد أن يخالف النبي ﷺ في أدنى

أمره. ومع أن أوامر الخلفاء واجبة الإذعان، إلا أنه من الممكن الخلافُ معهم في الرأي. وعلى سبيل المثال كان سيدنا أبو بكر ﷺ يستبيح سبي رافضي الزكاة لكونهم في حكم المرتدين والكافرين، وبقي سيدنا عمر ﷺ على خلاف معه في هذه المسألة حتى آخر لحظة، ولكن لو كان هذا الحكم قد صدر من الرسول ﷺ لما ساغ لعمر ولا لغيره أن يعارض رأيه، إذ لا يجوز الخلاف مع الأنبياء بأي شكل كان لكونهم متصلين بالأصول، بينما يجوز الاختلاف مع الخلفاء في التفاصيل.

كما نقرأ في التاريخ أن الخلفاء في بعض الأحيان يضطرون لقبول رأي الآخرين، أي يتنازلون عن رأيهم، وأحيانًا يتنازل الأتباع عن رأيهم ويخضعون لرأي الخلفاء. فقد ظلت مسألة خلافية بين الصحابة وعمر ﷺ هل المرء يصبح جُنبا مستوجب الغسل نتيجة خروج الماء أو لمجرد الجماع.

مجمل القول إن الخلاف مع الخلفاء في مثل هذه الأمور جائز، لكن الخلاف مع الأنبياء غير مسموح وغير مباح قط. فإذا خالف أحدهم النبي ﷺ في رفع السبابة مثلاً في القعدة في الصلاة فإن هذا الخلاف سيؤدي به إلى الكفر، لكن الخلاف مع الخلفاء والمجددين لا يؤدي بفاعله إلى الكفر. إلا أن الخلاف مع الأنبياء مهما كان بسيطًا يُعدّ كفرًا، لذا من الواجب علينا أن نسلّم بأوامرهم ونصدقها، سواء فهمناها أم لم نفهمها. وغاية الأمر أن الإيمان بالملائكة يعني أن نعدّ ما يقوله

الملائكة صوابًا، ولذلك قد أُمرنا بأن نمتثل لأقوالهم ونؤمن بهم. ونبرهن بالقرآن على أن ما يقوله الملائكة هو الصواب.

إن الله تعالى قد بين لنا ما يترتب على رفض الملائكة في مثال، إذ قال:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٥)

ونقرأ في القرآن أن إبليس لم يكن من الملائكة بل كان من الجن. هنا يقفز التساؤل إلى الذهن: كيف علِم غير الملائكة الأمر بالسجود؟ حيث كان الأمر موجّهًا إلى الملائكة حصرًا، لعله علم بأمر السجود نتيجة حثّ الملائكة إياه على السجود، فرفض وأبى فكان من الكافرين، فمن هنا نستنتج أن تحريضات الملائكة وترغيباتهم بها، حسنة كلها.

فيما تقدم قد شرحت لكم حقيقة الملائكة ووظائفهم وأهمية الإيمان بهم وحاجتنا إليهم، ثم فندت الاعتراضات المثارة حول الملائكة، ولكن ثمة اعتراضات أخرى أريد أن أرد عليها وأدحضها.

أقسام الملائكة وعلاقتهم بالناس

الآن أريد أن أخبركم عن أنواع فيض الملائكة، ولِمَ كان الشيطان والملائكة كيانين على حدي نقيض؟ وسوف أتناول موضوع علاقة الشيطان بالإنسان وأنواعها.

اعلموا أن الملائكة على ثلاثة أنواع، كما أن تأثيرات الشيطان هي الأخرى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

إن أولى علاقة الملائكة بالإنسان تكون على شاكلة علاقة غريب بغريب؛ وتفصيل ذلك أن الإنسان يضل الطريق أحيانا، وينبهه على ذلك شخص غريب لا يعرفه، ويدله على الطريق الصواب، وهذه العلاقة تدعى "لمّة ملائكية"، أي تحريك الملائكة، في هذه المرحلة تبعث الملائكة الإنسان على عمل ما، وهذه العلاقة لا تتجاوز علاقة غريب بغريب.

في المرحلة الثانية تتطور هذه العلاقة لتكون على غرار علاقة رفيق السفر برفيقه، والملاحظ أن الصديق يتبع صديقه العارف بالطريق، ولا يسأله عند كل خطوة أين يذهب؛ وإنما يقتفي أثره، كذلك يكون الملك في هذه المرحلة رفيق الإنسان، ويسيران في سمتٍ واحد، وتعرف هذه العلاقة بتأييد روح القدس، ويعبر الصوفية عن هذه العلاقة بنزول روح القدس على إنسان. وهذه العلاقة تكون دائمة، بينما العلاقة الأولى، أي اللمّة الملائكية، تكون مؤقتة.

وهناك درجة ثالثة على شاكلة علاقة الخادم بسيده، أي لا يكون الملك رفيقًا فحسب، بل يكون مأمورًا من الله تعالى بطاعة الإنسان وخدمته؛ إذ ترافق الملائكة الإنسان خادمةً له وليست كالأصدقاء. وبإحراز هذه الدرجة تلقى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلهاما يقول إن:

"النار خادمة لنا، بل خادمة خدامنا." (التذكرة)

ومعنى كون النار خادمة له، أن الملك المفوض على النار كان خادمًا له، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠)

حيث أُمر الملائكة في زمن آدم الأول أن يطيعوه ويُظهروا له كامل العبودية، ولما كان آدم الثاني (أي المسيح الموعود عليه السلام) متفوقًا على الأول درجةً وأعلى منه شأنًا، كان من الأجدر أن يقال له هذا.

في هذه الدرجة يكون الملك غلامًا للإنسان، ولا يملك أي خيار في مفارقته وتركه، وقد يستقيل الموظف من وظيفته ويختار منصبًا آخر، لكن الملك لا يمكن أن يترك صاحبه، وهذه درجة الأنبياء.

وتقابل هذه الدرجات الثلاث العلاقة بين الشيطان والإنسان. وتتمثل الدرجة الأولى من هذه العلاقات الثلاث في صورة ذلك الشرير الذي يضلل المارة عن الطريق القويم ويقول لهم بدافع السخرية قد انحرفتم عن الطريق، فهذا هو طريق السداد. فمن أطاعه فقد ضلّ. كذلك يخدع الشيطان الإنسان في أول الأمر، ومن وقع في فخه فقد غوى، إلا أن الملك القرين له يحاول على الدوام هدايته إلى طريق مستقيم.

لكن الذي يخضع لأوامر الشيطان مرارًا فإنه يتدهور من سيئ إلى أسوأ، وتتوثق عرى الصداقة بينه وبين الشيطان نتيجة اللقاءات معه، وهذه الحالة بيّنها الله تعالى في قوله:

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء: ٣٩)

وهذه هي الدرجة الثانية.

وفي الدرجة الثالثة يصبح الشيطان سيده فيغدو الإنسان عبدًا له. وفي مثل هؤلاء الناس ورد قول الله تعالى ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ (المائدة: ٦١) أي هؤلاء يعبدون الشيطان ويذعنون له، فكأن الذي يسير في طريق الحسنات تخضع له الملائكة، والذي يتابع مسيره إلى السيئات يخضع لسيطرة الشيطان.

هنا يبرز التساؤل: إذا كان كل شخص لا بد أن يكون على حالة من هذه الحالات الثلاث، فهل لكل إنسان ملك يختص به؟ الجواب نعم؛ فلكل إنسان ملك يختص به، والواقع كما بينت فيما تقدم أن للملائكة قسمين، قسم منهم ورد ذكره في قول الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ٥)

من هنا يتضح أن لكل إنسان ملَكا يختص به. أما القسم الثاني من الملائكة فيكون لكل ملك منه على صلة بكل إنسان، حيث يؤثِّر كل واحد من هؤلاء الملائكة في كل إنسان تأثيرا قل أو كثر. فجبريل يؤثر في الجميع. ويكون لهؤلاء الملائكة مساعدون، يوصلون تأثيراتهم إلى الأشياء الأخرى. هنا ينشأ السؤال التالي: إذا كان الملك الوحيد هو الذي يؤثر في الجميع، فما معنى نزول الملائكة؟ في هذا الخصوص تذكروا أن نزول

الملائكة مصطلح قرآني، فلا يعني أن الملك هو نفسه يأتي بالضرورة، بل معنى ذلك أنه يؤثر في الناس على الدوام. ولتقريب المعنى للأذهان ينبغي أن تلاحظوا كلمة "النزول" الواردة بحق الله؛ فقد ورد في الأحاديث أن الله تعالى ينزل في آخر الليل إلى السماء الدنيا، فلا يعني هذا سوى أنه عَزَّ وَجَلَّ يكثر تجلياته ويلقي تأثيره بصورة مكثفة، فهذا هو المراد من نزول جبريل؛ أي أنه لا ينزل إلى الأرض بشخصه لكونه مستقرًا في مقام معلوم لا يبارحه، وإنما يرسل تأثيره قاعدًا بمكانه. انظروا إلى الشمس حين تنعكس على المرآة، كذلك ما كان جبريل يأتي النبي ﷺ بشخصه، وإنما كان يتمثل له في صورة البشر وذلك لكونه مستقرًا في مقام معلوم لا يفارقه أبدًا. فنزول جبريل لا يعني إلا أنه يؤثر في قلب شخص جدير بتلقي تأثيره مثلما تنعكس الشمس على المرآة. فعندما يتم هذا النزول يصبح روح القدس رفيقًا للإنسان ويتحقق جميع إنجازاته بواسطته. وقد ورد في ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إن روح القدس كان رفيقه الملازم، ولم يكن بوسع أي شيطان أو غيره أن يخدعه. بينما يقول المسيحيون إن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تعرض لخداع الشيطان. هنا يبرز التساؤل: إذا كان المراد من نزول جبريل انعكاسه في أناس، فهذا يقتضي أن يكون جميع من انعكس فيهم جبريل متماثلين، مما يدعو أن يتساوى درجةً سيدنا محمد ﷺ وموسى وعيسى عليهما السلام، لكن هذا غلط. لأنه لا يكفي مراعاة

المنعكِس، بل من الضروري أن نضع في حسباننا صفة المنعكَس فيه؛ وكما هو معروف فإن انعكاس شيء على لوح حديدي يكون مختلفًا تمامًا عنه على مرآة، من هنا نقول: صحيح أن جبريل هو نفسه انعكس في مختلف الناس وبانعكاس واحد، إلا أن انعكاسه ظهر نقيًّا وصافيًا بقدر صفاء قلوب الذين انعكس فيهم، لهذا السبب ظهر انعكاس جبريل متفاوتًا، لكون متلقِّيْ هذا الانعكاس متفاوتين درجة، ولهذا وُصف النبي ﷺ بأنه أعلى الأنبياء مرتبة روحية، ولو كان الذي انعكس في الرسول ﷺ غير الذي انعكس في سائر الأنبياء لكان لقائل أن يقول: لقد ظفر بهذه الدرجة العليا لأن الذي انعكس فيه هو أكبر وأعلى درجة من غيره، ولو انعكس المنعكس نفسه في بقية الأنبياء لنالوا الدرجة نفسها التي حازها النبي ﷺ. لكن المنعكِس واحد، وهو الذي انعكس فيه وفي غيره، وإنما فاز ﷺ بهذه المكانة العليا لصفاء قلبه، والتفاوت بين مدارج الأنبياء يعود إلى صفاء قلوبهم، لأن الشيء الواحد يلقي تأثيره على أشياء متنوعة على السواء، وتكون النتيجة متفاوتة بحسب صلاحيات الأشياء المتلقية، فهذا هو سر فضيلة النبي الأكرم ﷺ على سائر الأنبياء، لأن قلبه كان أكثر القلوب صفاء وجلاء، فظهر فيه الانعكاس أصفى وأجلى.

ولا يغيبن عن البال أن الفيض يُسمّى بأسماء مختلفة نظرًا لنوعيته، ويبقى الفيض فيض روح القدس، وإنما يتجلى هذا الفيض وفقاً لصفاء

الحب. لاحظوا أننا إذا أردنا أن نلتقط انعكاس الشمس، ثم لو عرفنا أن الزجاج أفضل شيء يفي بهذا الغرض، فسوف نستخدم الزجاج وليس لوحًا حديديًا. ولما كان قلب النبي ﷺ أفضل القلوب وأحسنها، فإن الفيض الذي انعكس فيه- وكان أعظم فيض وأسماه- سيبقى إلى يوم القيامة، وهكذا تتغير نوعيّة الفيض.

انظروا كيف أن جبريل قد تمثل لسيدنا المسيح على صورة حمامة، لكن فيض جبريل نفسه تجلى لسيدنا المصطفى ﷺ على صورة إنسان؛ وهذا أكمل الفيض وأحسنه. فنوعيّة الفيض تختلف وتتفاوت، ونظرًا لهذه النوعيّة والتفاوت؛ فقد لُقّب جبريل ألقابًا كثيرة: منها روح القدس، والروح الأمين وغيرهما. يسمى جبريل روح القدس بسبب الكلام المقدس الذي يحمله، ويلقب بالروح الأمين، لكونه حافظًا إلى الأبد لذلك الكلام القدوس الذي يَنزل به، وإن من وظيفته ومسؤوليته حفظه على كونه منزهًا من أي نقصان وشائبة. لقد سمي جبريل بهذا الاسم نظرًا لذلك الفيض الذي حمله إلى محمد ﷺ، فكان جبريل مدينًا لإحسان محمد ﷺ إليه، إذ فاز بهذا اللقب الجديد بفضله.

وجملة القول أن جبريل نزل على جميع الأنبياء بصفة روح القدس، لكنه نزل على نبينا المصطفى ﷺ بصفة الروح الأمين، الذي ليس من مسؤوليته أن يخلق الطهارة فحسب، بل من مسؤوليته أن يديم هذه

القداسة والطهارة، فاسم الروح الأمين يشتمل الطهارة والقداسة والخلود والدوام، ومن ثم فإن هذا الاسم أفضل وأحسن من روح القدس.

مَن الأفضل، الملك أم الإنسان؟

قد يثير ما تقدم تساؤلا لدى البعض أنه إذا كان موسى وعيسى ونبينا المصطفى ﷺ قد نالوا هذه الدرجة العالية لانعكاس جبريل فيهم، فهذا يدفع إلى الاعتقاد بأن جبريل يتفضل على هؤلاء الذين ظفروا بهذه المكانة السامية لانعكاسه فيهم، فأقول ردًا على ذلك: لا يغيبن عن بال أحدكم أنه صحيح أن جبريل قد انعكس فيهم، لكنهم مع ذلك أفضل وأرفع درجة منه، وذلك لعدة وجوه هي:

١- صحيح أن جبريل قد انعكس فيهم، لكنه انعكس كوسيط فحسب، إذ قد نقل فقط فيض الله إلى هؤلاء ولم يؤثّر فيهم تأثيره الذاتي، وإنما كان قد توسّط بين الله تعالى وعباده، ومثله كمثل المرآة التي تعكس ضوء الشمس فتنشره إلى أشياء أخرى. إن جبريل يستمد النور من الله ﷻ وينقله إلى الناس وليس له نور ذاتي. والمعروف أن الوسائط تكون متفاوتة الدرجة جلاءً وبلورةً، وتمثّل المرآة التي تعكس ضوء الشمس الوسيط الأمثل، وتكون أجلى ما تُبثّ عليه أشعة الشمس، ومَثل الوسيط الأدنى كمَثل المبعوث الذي يحمل رسالة الملك إلى الوزير، فهو لا

يعرف عن مضمون الرسالة شيئًا وإنما مهمته أن يوصلها إلى من أُرسلت إليه، وكذلك حين يردّ عليه الوزير.

انطلاقًا من هذا المثال نستطيع القول: إنه من الممكن أن يتجلى للرسول فيض الله بوساطة جبريل وهو لا يعرفه، ونستنتج هذا المفهوم من حديث المعراج، حيث وصل جبريل ورسول الله ﷺ إلى مكان قال فيه جبريل لرسول الله: اذهب الآن وحدك فإنني لا أطيق التقدم، فمثل ما ينقله جبريل كمثل تحميلنا أحدًا رسالة تحتوي على أمور يدرك الحامل بعضها في حين يحتوي بعضها الآخر على رموز يجهلها الحامل، لكن يعرفها المرسِل أو المرسَل إليه. كذلك فإن مهمة جبريل تنحصر في نقل الرسالة فحسب، أما ما تحمل تلك الرسالة من مضمون فلا يعرفه غير الله ورسوله.

أقول في هذا المثال إن جبريل لم يكن يعرف ما حمله إلى الرسول، حتى إن الجزء الذي كان يمكن أن يدركه من الوحي كان الرسول ﷺ يسبقه فيه أيضًا، وأقدم مثالا للتوضيح: نحن نلاحظ في الحياة العادية أن اثنين من مصابي الحمّى يتناولان الدواء نفسه فيبرأ أحدهما من المرض فور تناول الدواء لكن الآخر لا يستفيد منه، لمَ يحدث هذا؟ من البّين أن هذا الفرق ناتج عن مناعة جسميهما وقواهما الداخلية الشخصية؛ وذلك لأن الذي يحمل في أحشائه مواد تغلب على الدواء وتقاومه، فإن تأثير الدواء يظهر فيه ضئيلاً، وأما الذي يكون جسمه نظيفًا وخاليًا من المواد الضارة فإن

الدواء يؤثر فيه فورًا. هذا المثال يتعلق بالقوى الطاردة للشرّ، ويحدث مثل ذلك في القوى الجاذبة للخير؛ إذ يأكل اثنان من الأشخاص الطعام نفسه لكن أحدهما يسمن ويقوى وتنمو عضلاته، أما الآخر فلا يستفيد من الطعام مثل الأول. كذلك فإن التعليم الذي كان جبريل يشارك في فهمه رسولَ الله ﷺ، كان ﷺ أسبق فيه من جبريل؛ لأنه كان يتأثر به بحسب مواهبه، وكان جبريل يتأثر به بحسب مقدراته.

ولتسهيل المثال أقدّم مثالاً آخر، وهو أني أشرح هذا الموضوع باللغة الأردية، وكل واحد منكم يستطيع فهمه واستيعابه، لكن الأفهام مع ذلك متفاوتة، وتأثيره في الجميع متفاوت، ثم هناك حالة نفسية قلبية هي الأخرى تؤثّر في الأفهام. كما نعرف مثلاً أن أحدهم يقرأ الفاتحة فيتأثر بما فيها من الموضوعات الهامة، فيدفعه ذلك إلى البكاء الشديد، وفي الوقت نفسه يقرأها غيره فيفرح ويبشّ ويتنور وجهه استبشارًا. والسبب يعود إلى الحالة النفسية المختلفة عندهما، وذلك لأن الذي يتصف برهافة وحساسية وهو يعاني من المشاكل والمصائب، حين يقرأها يتيقّن أنه ليس من يكشف السوء عنه غيرُ الله عز وعلا، الأمر الذي يدفعه إلى البكاء. أما حين يقرأها الشخص المحفوف بالأفراح والمغمور بالترف والرغد يتأكد بأن الله تعالى هو حافظه، وأنه لن يقدر أحد على أن يمسّه بأيّ أذى لكون الله معه، فبقراءته تظهر البشاشة والسرور على أسارير وجهه

ويبتهج. فتأثير الشيء الواحد يكون مختلفًا في الشخصين الاثنين لاختلاف حالتهما النفسية.

فالكلام الذي نزل على النبي ﷺ كانت نتائجه تترتب على امتزاجه بقدراته وقواه ﷺ، وكانت تلك النتائج مختلفة عما هي عند جبريل لاختلاطه بقدراته. ومن البيّن أن نتائج الأشياء تكون مختلفة باختلاف تركيبها؛ فإذا وضعنا الآجرّ مثلاً على الكلس فلن يحدث شيء، لكننا إذا سكبنا الماء على الكلس نفسه فسوف تشتعل النار وذلك لأن اختلاطهما يولد نارا. ومع أن ما نزل على الرسول ﷺ بواسطة جبريل كان جبريل يفهمه، إلا أنه لم يكن يتمتع بتلك القوى التي أوتيها النبي ﷺ، فذلك لأن فهمه لتلك الأمور كان ناقصًا عن فهم المصطفى ﷺ، وهذا هو سّر فضله صلى الله عليه وآله وسلم.

هنا يجب أن لا يغيبن عن بالكم أنه ليس كل إنسان من العامة يكون أفضل من المَلَك، وإنما الخواص يكونون أفضل من الملائكة الخاصة، بينما يفضُل عامة المؤمنين عامّةَ الملائكة، وسبب ذلك يعود إلى ما تقع على الإنسان من المسؤوليات الجسام؛ فمن المعروف أن الإنسان قد يُلقى به في الجحيم، إذا كان سيئًا ومذنبًا، لكن الملائكة ليسوا كذلك، لأنهم مفطورون على الطاعة الخالصة وعدم المعصية، ولا يتأتّى منهم ارتكاب الذنوب. بينما الإنسان يعصي ويطيع.

تتمة الخطاب

التي ألقاها

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٩ / ١٢/ ١٩٢٠

في مسجد نور

في الساعة التاسعة والنصف صباحًا



قال رضي الله عنه بعد التشهد والتعوذ وتلاوة الفاتحة:

لقد أثار أحدهم سؤالاً على النحو التالي: ما الذي يمنعنا من الاعتقاد بأن خواص الأشياء ذاتية وليست تابعة للملائكة، وما سبب الاعتقاد بأن خواص الأشياء تظهر بتأثير الملائكة؟

فالجواب: لقد أثبتُّ فيما سبق وجود الملائكة بالدلائل والبراهين، ومتى ثبت وجود الملائكة تحقق تلقائيًا أننا بحاجة إليهم، لأنه من المعروف أنه إذا ثبت أمر ما بالدلائل فلا يحق لأحد القول: من المحتمل أن يكون

لإمكانيته سبب آخر، وما الذي يمنعنا من الإيمان بذلك السبب! فمثلاً من المعلوم الثابت أن الأوراق تطير في الهواء، ويمكن أن تطير فتسقط على طاولة قريبة، لكننا إذا شاهدنا بأم أعيننا شخصا يأتي بالأوراق ويضعها على الطاولة، ترى هل نستطيع القول عندئذ: لماذا لا نؤمن بأن الهواء هو الذي نقل الأوراق إلى الطاولة؟ فانطلاقًا من هذا المثال نقول: إذا ثبت وجود الملائكة بالدلائل، بطل الزعم بأن خواص الأشياء هي خاصة بها دون أن تكون لها أي صلة بالملائكة.

إن الإمكانية شيء وإثبات حادثة بالدلائل شيء مختلف تمامًا، وما يقال فلا يقال لعدم إمكانية ذلك، وإنما يقال لتوفر الدلائل ضده ولم يبق مجال للقياس، وإنما نضطر للقياس في حال انعدام الدلائل، ومعنى القياس والإمكان أن هناك إمكانات أخرى، لكنه لا يعني بالضرورة أن تجتمع جميع الإمكانيات في شيء واحد، إذ كان من الممكن أن تكون خواص الأشياء ذاتية، إلا أن الشواهد الأخرى تدحض هذه الفكرة؛ لذا فإن خواص الأشياء لها علاقة بالملائكة.

ثم إننا لا نقول بأن الأشياء تخلو من الخواص، فنحن لم ندّع ذلك؛ وإنما نقول إن المحرّك الأول لظهور خواص الأشياء هو الملائكة، إذ تؤمر الملائكة بادئ ذي بدء فتؤثر فيما يتلوها من الأسباب، وهو بدوره يؤثر في تاليه، وهكذا يبدأ تأثيره بالظهور تدريجيًا في الأشياء المادية.

إن الذين يؤمنون بالله ويسلّمون بأنه هو الذي خلق المادة، فلا بد لهم من الاعتراف بأن الله هو نفسه قد أودع جميع الأشياء خصائصها، وإلا سوف يتعيّن أن المادة غير مخلوقة وإنما هي وليدة المصادفة، وأنه ليس من كائن يسمّى الله. إذا وجدنا شخصًا يعتنق هذه الأفكار فعلينا أن نقنعه أولاً بوجود الله تعالى قبل الخوض في بحث الملائكة، ثم إذا اقتنع بوجود الله، مع اعتقاده بأن كل شيء قد تولّد تلقائيًا دونما خالق، فسوف نعرض عليه بحث الملائكة. لكنه إذا أقرّ بأن الله هو خالق كل شيء، نطرح عليه مسألة الملائكة، ونقول له إن مسألة وجود الملائكة أمر ثابت متحقق. فبحث الملائكة يأتي بعد إثبات وجود الله وخالقيته لكل شيء، ولهذا السبب فإن الأقوام التي لا تؤمن بالله أو ينحصر إيمانها به في عدم خلقه للمادة، لا تعتقد بالملائكة. فعند مناقشة بحث الملائكة مع هؤلاء ينبغي أن يكونوا مسلِّمين بأن الله موجود وأنه خالق الأشياء، الأمر الذي سوف يؤدي إلى الإيمان بأنه تعالى قد أودع الأشياء ميزاتها، ونحن نزعم أن الله ﷻ لم يودع هذه الخصائص مباشرة، بل أودعها بواسطة الملائكة، وذلك لكون الأشياء كثيفة وكونه عز وعلا لطيفًا، وبالنظر في نواميس الطبيعة يتحتم علينا الاستنتاجُ أن الله تعالى قد وضع للأشياء اللطيفة وسائط للتأثير في الأشياء الكثيفة، إذ نلاحظ أن لكل شيء لطيف وسائط معيّنة للاتصال بالكثيف، إذ لا يمكن أن يتصل الكثيف باللطيف مباشرة دونما وسيط.

انظروا إلى الإنسان مثلاً؛ ففي داخله قلب أو روح أو ذهن- أيًّا كان اسمه- ينجز بسببه كل أعماله، وحين يتعطل فيه ذلك الشيء أو ينعدم يعود الإنسان جثةً هامدة لا حراك فيه. إلا أن هذا الشيء الموجود في داخله لا يأمره أن يقوم بعمل ما أو أن يعزف عنه، وإنما يؤثّر في عضلات متناهية الدقة، وهكذا تنشأ الحركة في عضو ما فيقوم بعمل؛ فالعين مثلا لا تأمرها الروح أو الذهن مباشرة بل تظهر عليها مشيئتها عبر التأثير في الأعصاب الدقيقة تدريجيًا، فملخص القول: ما من شيء لطيف إلا ويتعلق بالكثيف عبر الوسائط. فنحن نقول: إن وجود الله أمر ثابت متحقق، وإن كونه خالق كل شيء أمر مسلّم به، ومن ثم لا بد لنا من الاعتراف بأن علاقته بالأشياء تتم من خلال الوسائط، ونسمي تلك الوسائط ملائكة. لكن الذي لا يؤمن بوجود الله تعالى أو يرفض أن يكون عز وجل خالق كل شيء، فلن نطرح عليه بحث الملائكة، بل سوف نجعله يقتنع أولاً بوجود الله عز وجل وأنه خالق العالم، ثم إذا آمن بذلك فلن تكون له مندوحة من الاعتراف بوجود مخلوقات تتوسط بين الله والموجودات المادية- إذا أجال النظر في قانون الطبيعة وسنن الكون- وهذه المسألة ثابتة مؤكّدة علميًا؛ إذ من المسائل العلمية أن لكل شيء عللاً وموجبات، ويؤثّر السبب اللطيف فيما هو أكثر منه كثافة، وهو بدوره يؤثّر فيما هو أكثف منه نسبيًا وهكذا دواليك. فنحن نعترف بأن

الخاصية الحاصلة في "الكينا" حصلت نتيجة لأسباب أخرى، والكينا مركّب من جزيئات متعددة متنوعة، وما من شيء يخلو من تركيب وتأليف، فكلها مركّبة مؤلّفة، وفي الكينا عنصر معيَّن خفي يعمل ضد الحمّى، لكن عمله هذا يعود إلى بعض العوامل الخفيّة الأخرى، وهذه العوامل تنتهي إلى الملائكة، وهم يستمدّون فيضانًا إلهيًا من الله مباشرة، لأنه هو الخالق الحقيقي، ولو لم يسلَّم بهذا وقيل إن لكل شيء خاصية ذاتية، فهذا سوف يقودنا إلى إنكار خالقية الله تعالى للأشياء، لكن إذا اعترف أحد وسلّم بأن الله هو خالق الأشياء، فلا مناص له من الاعتراف بأن الله تعالى هو الذي أودع الأشياء خصائصها. وإن النظر في أن خصائص الأشياء ترجع إلى أسباب وعلل خفية سوف يقودنا إلى الإيمان بأن حكم الله يصل إليها من خلال هذه الأسباب الخفية، وآخر هذه العلل والأسباب هو الملَك.

اللمة الملائكية متنامية

الآن أبين لكم أن اللَمّة الملائكية تنمو حتى تبلغ مكانا تنقسم فيه إلى اثنتين، وربما لم يُدركْ أحدكم معنى اللمّة. لذا أشرح لكم الآن وأقول إن من معاني اللمة التحريك والتحريض. ومعنى تناميها أن المحركات الملائكية قابلة لأن تتكاثر وتتزايد، حتى يتفرع من المحرك الواحد محركات متعددة، وذلك لأنه حين يلبي المرء تحريكات الملائكة وينفّذها باستمرار يصل بعد

مدة إلى مقام يراه الله فيه صالحا لتحريكات أكثر، فينمّي مقدرته على قبول التحريكات الملائكية، فيثير فيه هذه التحريكاتِ اثنانِ من الملائكة، ويكونْ له حارسان ثم ثلاثة ملائكة، وبذلك يزداد عددهم. وهذا ما نلاحظه في سنن الكون وقانون الطبيعة، فكل من يستخدم شيئًا بأسلوب لائق تنمو قدراته بحقِ ذلك الشيء، فعلى سبيل المثال إن الذين ينشغلون في تلقّي العلوم، تنكشف عليهم معارف جديدة، وقد تناول الله تعالى هذا المبدأ إذ قال:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنْكبوت: ٧٠)

أي أن الذين يسيرون على درْبِنا ويحاولون التقرب منا، فإننا نكشف عليهم سبل التقرب الأخرى، أي عندما ينجزون حسنة واحدة، تحصل لهم معرفة الحسنات الأخرى الجديدة فيعملونها. فإن الذين يجاهدون في سبيل الله يطّلعون على حسنات لم تكن لتخطر على بالهم من قبل، وأستدل على ذلك من القرآن الكريم الذي قال الله تعالى في موضع منه:

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ٥)

أي كل إنسان مندوب إلى ملك يحميه ويصرف عنه المحركات الشيطانية ويحثه على الحسنات، ويُستنبط من آية أخرى أن الإنسان حين يلبي تحريض ذلك الملك يصل إلى مقامٍ حيث يقول الله تعالى أنه ينبغي أن يُبعد عنه الشيطانُ نهائيًا، ومن ثَم يجعله محفوظًا حفظًا تامًّا،

وذلك بتعيين الحراس على كل الذرائع التي يمكن أن يتسرب عن طريقها الشيطان إلى قلب الإنسان من العين والأنف والأذن واللسان وغيرها من الذرائع التي يستخدمها الشيطان للتأثير في قلب الإنسان. وكأنّ المرء حين يثابر على تنفيذ محركات الحسنة، فإن الله يزيد عدد الملائكة لحراسته، فيجلسون على تلك الأبواب التي ينفذ منها الشيطان إلى قلب الإنسان ليؤثر فيه.

قبل هذا كان يتعين على الملك الواحد مراقبة الأبواب كلها وحراستها من دخول الشيطان منها، ثم بالتدرج توكّل كل فتحة وثغرة إلى ملك على حدة؛ يقول الله تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١٢)

ولقد أخطأ المفسرون في فهم هذه الآية وحسبوها تشْمل جميع الناس، لكن أرى أنها تخص النبي ﷺ وحده، والضمير في «له» يعود على الرسول ﷺ، يقول الله تعالى: هذا عبْدنا الذي له معقبات من بين يديه ومن خلفه، فليس ثمة دافع شيطاني ينال منه، وكل دافع شيطاني سوف يتوقف دونه ولن يصل إليه.

من هنا عرفنا أن كل شخص موكّل إلى ملك يخصه، لكن المقربين إلى الله يوكلون إلى الكثير من الملائكة. وثبوت هذا الأمر موجود في مقام

آخر؛ فالإنسان حين يرتقي سلّم المدارج يصل إلى درجةٍ توكّل عندها كل فتحة وثغرة من جسمه لملك خاص. حيث يقول الله تعالى:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤-٢٥)

أي حين يدخل أولئك الناس الجنةَ بعد الموت، سيدخل عليهم الملائكةُ من كل باب ويسلمون عليهم ويقولون لهم: سلام عليكم جزاء صبركم. ولا تعني هذه الآية أنه سيكون هناك عدد من الملائكة وسيدخلون عليهم من أبواب شتى يسلِّمون عليهم. لأن الملائكة العدّة أيضًا يستطيعون الدخول من باب واحد، وإن قيل إنهم سيدخلون من أبواب عدة بسبب الازدحام الشديد قلت: لكنهم إذا دخلوا من باب واحد أو من أبواب متفرقة، لم يكن من داعٍ لهذا البيان. والحقيقة أن ملكَ كل باب- أو فتحةٍ يمكن أن يدخل منها السوء إلى جسم الإنسان- سيأتي يوم القيامة إلى الإنسان ويهنّئه قائلاً: لقد نجوتَ. فلما كان الإنسان والملك كلاهما ظَلّا يقاومان الشيطان معًا، ففي ذلك اليوم سيفرح معًا الملك والإنسان أيضًا، فملَك كل فتحة سيدخل ليسلّم عليه.

أما فيما يتعلق بمصداقية تعدّد الأبواب أو عدمها فهذا الأمر بيّن، ويعرف كل إنسان أن المؤثرات الخارجية متعددة الوسائل؛ أحيانًا ينظر الإنسان إلى نقود معينة فينشأ في قلبه الطمع ويتحفز للسرقة، ولو لمْ ترَ

عيناه ذاك المال لما خطرتِ السرقةُ على باله، وأحيانًا يسمع الإنسان أن فلانًا يملك ثروات، فتنشأ في نفسه فكرة السرقة، ولو لم يسمعْ لما فكر بالسرقة، وهكذا تنشأ بعض الأفكار نتيجة اللمْس والشمّ، وبعضها الآخر ينشأ بالتذوق، فتنشأ الدوافع السيئة والحسنة عبر هذه الوسائل، ومن هذه الطرق يدخل الشيطان إلى الإنسان. وحين تُوكّل كل هذه المداخل إلى ملك مستقل خاص فإنه يحفظها من الدافع السيئ ولا يدَعه يدخل الإنسانَ. وهذه الملائكة الحافظة الخاصة تتميز عن أخواتها العامة. والفرق أن هؤلاء الحافظين للعامة يمنعونهم من أن يخضعوا للنوازع السيئة، أما الملائكة التي تحفظ الخاصة فيحوّلون الدوافع السيئة إلى الحسنة؛ فمثلاً حين يسمع الإنسان أن فلانًا يملك مالا، ينبعث في قلبه دعاء أن يزيده الله هو ويبارك في ماله ويوفقه لينفقه في سبيل الأعمال الخيرية بدلاً من السرقة. فغاية الأمر أن كل دافع حين يدخل فيهم يتحول إلى الخير، أما أنبياء الله فلا تنحصر مهمة الملائكة في منع تأثير الدافع السيئ أو تحويل الدافع السيئ إلى الحسن، بل تخلق للبواعث الحسنة المتولّدة في قلوبهم آثارًا في الخارج أيضًا، فهؤلاء الملائكة يخلقون تأثيرًا حسنًا عندما يتحدث نبي الله إلى أحد أو ينظر إليه أو يلمس شيئًا، بل في كل تحركاتهم وسكناتهم. ملخص القول إن الملائكة تظل تخلق التأثير الحسن في أحوالهم.

قد يقول قائل: إن نشوء فكرة السرقة في قلب أحدهم لدى رؤيته لمال الغير يتولد في داخله وليس في الخارج؛ فكيف يمكن أن تحفظه الملائكة؟ إن هذا القول خطأ؛ لأن فكرة السرقة إنما تنشأ من محرك ما، يكون في الخارج. ومن المعلوم أن أفكار المرء تؤثر في من يجالسه، وبذلك يتأثر الإنسان بأفكار غيره السيئة، وهذا يحْدث باللمس والتحدث والمجالسة. وهو ثابت علميًا، إذ هناك علم يُعرف باسم علم التخاطر، وفي ممارسته مثلاً يُضمِرُ شخصٌ نومَ شخصٍ آخر، ويرسخ ذلك في قلبه مردّدًا في نفسه: قد نَام، قد نَام.. وعندما يتقوى هذا الخيال في دماغه يجد ذلك الآخر قد نام فعلاً. ويطوِّر صاحبُ هذا العلم تمارينه حتى يصل إلى درجة أنْ لو أضمر لأحد أن يتصلب مثل الخشب، لَتصلّب، وإذا ألقيناه على الأرض بحيث لا يكون تحت ظهره أي سند، ثم وضعنا عليه ثقلاً، فلن يتقوس ظهره. كذلك إنْ أضمرَ في نفسه أن يصبح فلان قِطّةً أو كلبًا، فإنه سوف يبدأ بالمواء والنباح؛ فمن الحقيقة أن أفكار المرء تؤثّر في صاحبه، ونحن نلاحظ في العالم أشخاصًا يؤثرون تأثيرًا سيئًا سلبيًا في أهالي بلدهم أو قريتهم، وبمقدور كل واحد منهم أن يلاحظ كيف أن أفكار أحدهم تؤثر في غيره سلبيًا. وإن هذا التأثير يشْمل الأطفال، والملاحظ أننا حين نضع الأصابع على عيني الطفل ونخفي شيئًا ما، ثم نطلب منه أن يبحث عنه ونتوقع أن

يمشي إلى حيث ذلك الشيء؛ فإنه يذهب ويلتقط ذلك الشيء المخفي.

مرة أرسَل طالبٌ من السيخ في الكلية الحكومية إلى المسيح الموعود عليه السلام- وكان مخلصا له عليه السلام- شخصًا ليقول له: كنت في الماضي أؤمن بالله تعالى، والآن بدأت الظنون والشكوك تتسرب إلى قلبي عن هذا الإيمان. فرَدّ عليه عليه السلام أن يغير مقعده في الصف، ففعل. ثم أرسل بعد مدة إلى المسيح الموعود عليه السلام: لم يعد هناك تردد أو ارتياب في قلبي. فلمّا قُرئ هذا الخبر على مسامعه عليه السلام، قال: كان يؤثر فيه شخصٌ ملحد يجلس بجنبه، فلما غيّر المكان انقطع التأثير وزالت الشكوك، فالرّجل السّيئ والجيّد يؤثران في جليسيهما دون أن ينطق أحدهما بشيء، ودون أن يُدرك جليسه. فحين يفِد الإنسان على مجلس فيه أشخاصٌ ذوي أفكار متنوعة متعددة، يتأثر بهم دون أن يشْعر.

وحين تقف الملائكة أمام كل باب- من أبواب جسمه- كباب الأيدي وباب الأنف وباب الأذن وباب الوجه وباب العين وغيرها من الأبواب، فلا أحد يقدر على أن يؤثّر فيه سلبًا، فهو لا يتأثر إلّا بالتأثيرات الحسنة. إن الرسول ﷺ مع كونه طاهرًا، كان يستغفر سبعين مرة كلما دخل على مجلس، وذلك ليعلّم المسلمين أن يقتدوا به اتقاءً من شر المجلس.

فتأثير الأفكار حقيقة ثابتة وأمر متحقق، والناس الأكثر برًّا واتقاءً يُسند أمرُ كلِّ باب لهم- يمكن أن يتسرب منه تأثير الأفكار السيئة- إلى الملائكة الذين يمنعونهم من التأثيرات السيئة.

ما المراد من الشيطان

الآن أخبركم بأن الشريعة قد وصفَتْ أفكار المرء الشخصية السيئة بأنها شيطانية، ولا أقصد بهذا القول بأن الشيطان لا كيان له، لأن من معتقداتي أن كل حافز على الخير إنما يتولد في الحقيقة في قلب الإنسان مع أنني أؤمن بوجود الملائكة وتأثيراتهم.

وإنما أقصد من قولي هذا أنه يستشف من الشريعة أنها وصفتْ تخيّلات الإنسان بأنها شيطانية، وسبب ذلك أنه حين يخطر على بال أحدكم أي سوء فإن الشيطان يؤثر فيه ويطوّر فكرة السوء عنده.

نقرأ في الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال إن للوضوء شيطانًا اسمه «الولهان» ومهمته أن يجعل المرء يُسرف في استهلاك الماء أثناء الوضوء (الترمذي، أبواب الطهارة، باب كراهية الإسراف في الوضوء)، وليس المراد من قول النبي ﷺ أن ثمة شيطانًا للوضوء في الواقع، وإنما سمي ما يخطر على القلب شيطانًا، لأن مهمة الشيطان في الحقيقة إبعاد الناس عن الله تعالى، ولا علاقة له بالماء، ويطلق اسم «الولهان» على من تستولي على قلبه فكرة واحدة تشغل باله على الدوام. وعبّر الرسول ﷺ عن هذه الحالة باسم

الولهان. ويترتب على هذه الحال فقدانُ الصواب، وبدلاً من أن يفكر هذا في الصلاة أثناء الوضوء يستغرق في أفكاره ويسرف في صب الماء بسبب انشغاله، إذ لا يأمره الشيطان بذلك– في الحقيقة– لأن الإكثار من الماء أو الإقلال منه ليس من اختصاص الشيطان.

كذلك قد قال النبي ﷺ إن للصلاة شيطانًا يسبب للمرء الشرود في الصلاة. مرة اشتكى رجل إلى النبي ﷺ أنه حين يقوم للصلاة، تنتابه أفكار مختلفة فقال ﷺ: هذا شيطان اسمه خنزب (مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة). فأخبرنا بأن اسم شيطان الصلاة خنزب. وهذه الكلمة مركبة من "خنا" بمعنى نوائب الدهر و"أزيب" بمعنى داهية، أي الآفات والنوائب والمصائب. ولقد أخبرَنا النبي ﷺ أن حوادث الدهر ونوائبه تجتذب الإنسان إليها، ولو اعتزل المرء أمور الدنيا قدْرَ المستطاع، فبمقدوره أن يتوقّى هذه الحال فلا يقع فيها. فغاية القول إن الأفكار السيئة المتولدة في القلب قد سمّيتْ أيضًا شيطانًا.

اللمة الملائكية واللمة الشيطانية تنتجان عن الحالة القلبية للإنسان

الآن أخبركم بأن الدافع سواء كان حسنًا أو سيئًا لا يكون من قِبَل الملك أو الشيطان وإنما يتولد في قلب الإنسان، أقول هذا مستندًا إلى

قول النبي ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ" (البخاري)، ومن هنا نستنتج أن كل إنسان مفطور على البر، ثم تتولد الأفكار المختلفة بحسب أوضاعه الاجتماعية ومجالسه الخاصة. فإذا كانت هذه الأفكار حسنة عززتْها الملائكة، وإذا كانت سيئة يأتي الشيطان ليدعمها كما قال النبي ﷺ: «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ» (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، كتاب شرح عجائب القلب). أي إن الذي تتولد في قلبه الأفكار الحسنة يندبه الله تعالى إلى الملك ليحميه. وهذا هو حال الدوافع السيئة؛ فإن الذي تنبعث في قلبه النوازع السيئة يستولي عليه الشيطان.

من هنا نستنبط أن الحسنة تتولد في أول الأمر في قلب الإنسان وكذلك السيئة، وإن كانت حوافزهما خارجيةً. ثم الملك ينمّي الحافز الحسن، وإن كان سيئًا اقترن الشيطان بصاحب هذا الحافز السيئ. ولو كان هذا التحريك خارجيًا ولم تكن له علاقة بالقلب ولم يكن الإنسان مخيّرًا في قبوله أو رده، لعُدّ الإنسان مجبرًا. لكن الواقع ليس كذلك، بل تنشأ علاقة المرء بالملَك لدى قبوله الفكرة الحسنة، وبالشيطان لدى قبوله الفكرة السيئة، كما يقول المثل: «إن الطيور على أشكالها تقع».

فيجب أن نضع هذا الأمر في الحسبان فيما يخص هذين الدافعين. إن كثيرًا من الناس يتساءلون عن كيفية الوصول إلى الرقي الروحاني؟ أقول ردًا

على هؤلاء بأن الطريق إلى الرقي الروحاني يتمثل في أن يبقى الإنسان يسبر أعماق قلبه متفقدًا أحواله على الدوام. فالرقي الروحاني يعني أن يتطلع الإنسان إلى المراتب والمدارج العليا، والطريق إلى ذلك أن يستعرض المرء أحوال ما يتولد في قلبه من الأفكار، هل هي صالحة أم طالحة. وإذا كانت كفةُ الأفكار الحسنة راجحة فليعلم بأن الملائكة يساعدونه على الإقبال على الله. فبدلاً من أن يرى المرء كم حَسُنت صلواته وصيامه وكم قدّم من التبرعات، عليه أن يدرس الدوافع المتولدة في قلبه. هل يأمره قلبه بأداء الصلاة والصيام والقيام بالحسنات أكثر أم لا، فإنْ كان قلبه لا يستحثه على ذلك بإلحاح فليعلم أن ما يقوم به لا يمثّل إلا محاولةً ابتدائية أو عادةً أو رياءً، وهو ليس لوجه الله. في هذه الحالة لو صلى عشر صلوات مكان الخمس، أي أعقب كل صلاة مكتوبة بعض النوافل، وقلبه راغب عنها، فلْيعلم أنه لم يصلْ بعد إلى مرتبة تؤهّله لأن يكون على صلة بالملائكة، بل من الممكن أنه لم يتخطَّ بعد المحاولة الابتدائية، وإنما تقوده نفسه إلى الصلاة تقليدًا أو عادةً أو رياء. ولكن إذا كانت الدوافع الحسنة تتولد في قلبه، وإن لم يوفّقْ للاستجابة لها، فلْيعلم أن الملائكة يتوجهون إليه، لينشئوا معه الصِلات. فلا تقيسوا حالتكم الروحانية على صلاتكم وصومكم، بل انظروا إلى ما ينشأ في قلوبكم من أفكار وما يجري في صميم فؤادكم من نيّات. فالأقوام التي تقفل قلوبَها هي ساقطة لا محالة عاجلاً أو آجلاً مهما

تكن قوية في الظاهر. انظروا إلى روسيا مثلاً، ما أعظم ما كانته من حكومة! ولكن لما كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد تنبّأ بانهيارها، فقد فسدت قلوبُهم وتداعت السلطنة، مع أنها كانت تعدّ، قُبيل حدوث فساد ظاهر، حكومة جبارة راسخة الأركان. فينبغي ألا يقيس المرء تقدمه في الصلاح والتقوى على صلاته وزكاته وصيامه، بل عليه أن يقرّر مستواه في الصلاح والتقوى نظرًا إلى ما في قلبه، ويجب أن يختبر مكانته في ميدان البر والتقوى بما يدور في قلبه. فإذا كانت الدوافع إلى البر والصلاح في قلبه تنمو وتتزايد، فلْيعلمْ أن علاقة الملائكة به تتمكّن، حتى لو لمْ يتمكن من الإقلاع عن جميع الذنوب وكانت بعض الذنوب لم تفارقْه بعد. وعلى الصعيد الآخر إذا كانت البواعث إلى السيئة في قلبه في تزايد، فلْيعلمْ أن علاقة الشيطان به تتقوّى، وإن كان ما يقوم به رائعًا وصالحًا. فكثرة الصلوات والصيام وحدها ليست من أمارات الإيمان؛ يجب أن تنظروا إلى قلوبكم، وعليكم أن تطَّلعوا على أعمالكم.

طريقة المقارنة بين اللمّة الملائكية واللمّة الشيطانية

الآن أدلكم على مقياس بيّن يُمكنكم بموجبه التعرف إلى مقدار تدخّل الملائكة أو الشيطان في الدوافع المنبعثة في قلوبكم.

فيما سبق قد بيّنت لكم أن المحركات في الأساس أسيئة كانت أم حسنة- إنما تنبع من عند أنفسكم أنتم، وليست للملك أو الشيطان أية

صلة بها، ولذا يتحتم عليكم النظر إلى قلوبكم ومن ثم التعرفُ إلى من تترسخ علاقاتكم به، الملك أم الشيطان.

١- إذا تولّدتْ في قلوبكم فكرة حسنة في أول الأمر تبعتْها فكرة سيئة، فلْتعرفوا أن علاقة الملك بكم أقوى من علاقة الشيطان؛ إذ يريد الملك أن يقوي علاقته بكم والشيطان يضع العوائق. فكلما خطرت على قلوبكم سيئة فلاحظوا إن كانت الحسنة قد خطرتْ على قلوبكم أم لا، وإذا وجدتم أن الحسنة قد سبقت السيئة فهذا يعني أن علاقة الملك بكم أقوى من علاقة الشيطان. فحين تقومون للصلاة، ثم تنتابكم الوساوس والظنون، من هنا ثبت أن علاقتكم بالملائكة أقوى إذ إنكم تسعون لإحراز الحسنة والشيطان يحاول إفسادها.

٢- إذا رأيتم أن طائفًا سيئًا يطوف بقلوبكم، ثم تأتي فكرة حسنة مصاحبة له؛ فإذا فكّر أحد- مثلاً- في الذهاب إلى المسجد بدافع الرياء، ثم فكّر أنه إن صلّى الصلاة فسوف يصلي لله فقطْ، فليعرف في مثل هذه الحال أن علاقة الملائكة به ليست قوية، إلا أنها لم تتركْه نهائيًا، وحين وجدت الفرصة جاءته لتقوده إلى الصلاح.

فالإنسان يحظى بحفاظة إلى هذه الدرجة، لأن الملائكة لم تقطعْ بعد علاقات الحب به. في الدرجة الأولى كانت الملائكة ترفعه إلى أعلى والشيطان يجره إلى أسفل، وفي الدرجة الثانية كانت تدركُه لتنقذه من

الغرق متى أوشك عليه، وحتى في هذه الحالة لا داعي لليأس إذ يمكنه أن يتقدم ويترقى.

٣- الدرجة الثالثة خطرة جدًا وفيها يشعر المرء بتولد فكرة السوء دون أن يرافقها فكرة الخير والبر، وتمضي الساعات والأيام دون أن يثور القلب ضد فكرة السوء تلك. فإن وصلتم إلى هذه الدرجة فاعلموا أن الملائكة قد تركوكم نهائيًا وأنكم الآن قد وقعتم في فخ الشيطان كلّيًا. إن هذه الدرجات الثلاث هي تلك التي تتساوى فيها فكرة الخير مع فكرة السوء أو تفوقها. ويجب على المرء أن يكون حذرًا جدًا عند الاستقرار على إحدى هذه الدرجات. وفوق هذه الدرجات الثلاث هناك درجتان يواجه فيهما الإنسانُ اللمة الملائكية واللمةَ الشيطانية، لكن كفة اللمة الملائكية تكون راجحة، وهما:

١- تخطر على بال الإنسان فكرة الخير ثم تتبعها فكرة السوء، وليعلم المرء في هذه الحالة- وإن كان الملائكة لا يحومون حوله- أن علاقته الأصلية هي بالملائكة، وإنما الشيطان يحاول ليمنعه من الرقي والتقدم.

٢- في الحالة الثانية تنشأ الأفكار الحسنة أولاً ثم تتبعها الأفكار السيئة، لكن يكون عددها ضئيلاً جدًا، أو تتبع الأفكار السيئة بعض الأفكار الحسنة دون غيرها، فليعرف صاحب هذه الحالة أن علاقة الملائكة به تتوطد وتضعف علاقة الشيطان، وربما بقي له باب من الأبواب مفتوحًا

يهاجم منه، وعندما يتقدم الإنسان أكثر ويتجاوز هذه المراحل، يتحصن ضد هجمات الشيطان تمامًا. ويمكن للإنسان التعرف من خلال هذه المستويات إلى مصيره فيما إذا كان يتقدم إلى الخير أم إلى الشر.

الآن نجد أنفسنا أمام سؤال: أي تحريك أقوى في الإنسان؛ الملائكي أم الشيطاني؟ وأي الفرص تتوفر للإنسان أكثر؛ الطرق المؤدية إلى الخير أم تلك التي تؤدي به إلى الشر؟ ومن هنا نتطرق إلى سؤال آخر، هل خلق الله تعالى للإنسان وسائل الرقي أكثر أم وسائل الضلال؟ لقد أخطأ الصوفية في هذا الميدان، أو لنَقُلْ: لقد صدر عنهم خطأ تقني أي اصطلاحي وليس حقيقيًا. وهو أنهم أخطأوا في فهم مدلول آخر؛ إذ يكاد يُجمع جميع الصوفية على أن للملك بابًا واحدًا للدخول إلى الإنسان، بينما هناك أبواب عدة يدخل منها الشيطان إلى كيان الإنسان. لكنه خطأ، لأن قانون الطبيعة يخطّئه أولاً، والقرآن ثانيًا. وتفصيل ذلك أننا نستنبط من سُنن الكون أن الأفكار المتولدة في داخل الإنسان تثيرها المؤثرات الخارجية؛ فمثلاً تنشأ فكرة السرقة في قلب الإنسان حين ينظر إلى شيء في الخارج، وكذلك على هذا القياس نستنتج أن الأسباب التي تدفع الإنسان إلى فكرة السوء هي نفسها تثير فيه أفكار الخير أيضًا؛ فإذا كانت رؤية الإنسان تبعثه على سرقة مال فلان، فإن الرؤية في موضع آخر- للفقراء مثلاً- تحضه على مساعدتهم.

كذلك إذا كان الاستماع إلى شيء ما يولّد في الإنسان فكرة السوء، فإن الاستماع إلى شيء آخر ينشئ في مخيلته أفكارَ الخير أيضًا، وهذا هو الحال في بقية الخواص من اللمس والشم والتذوق. من هنا يتبين أن كل شيء يمكن أن يُستعمل استعمالاً سلبيًا أو إيجابيًا، لذا فإن الوسائل التي يستخدمها الشيطان لِيَدْخل الإنسانُ هي ذاتها الوسائل التي تدخل منها الملائكة فتحرّض الإنسان على الحسنات.

أما القرآن الكريم فهو أيضًا يدحض الفكرة القائلة بأن للشيطان طرقًا عديدة للتضليل وللملائكة سبيلاً واحداً، لقد انخدع الصوفية والمفسرون في الآية:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأَنعام: ١٥٤)

فقد استدلوا من هذه الآية على أن لله طريقًا واحدًا، بينما الشيطان له سبل عدة. لقدْ أخطأوا في إدراك منطوق هذه الآية، فآية أخرى تقول:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنْكبوت: ٧٠)

تبيّن من هنا أن للجنّة والبرّ سبلا متعددة. والجواب الثاني هو أن المراد مما ذُكر في هاتين الآيتين من السبيل الواحدة والسبل المتفرقة، هو أن الوصول إلى الله تعالى لا يتطلب اتباع الديانات المتعددة. والإسلامُ وحده دين يستطيع الإنسان باعتناقه الوصولَ إلى الله. بيد أنه قد قدّم لنا طرقًا

لا حصر لها، للترقيات الروحانية؛ ففي الآية نفي لأسلوب الشيطان الذي ابتكر السبل المتعددة للتضليل، فتارة يحث المرء على التنصّر وطورًا يحرّضه على قبول الديانة الآرية، وتارة أخرى يقوده إلى اعتناق ديانة كاذبة أخرى. إن الله تعالى لم ينتهج هذا الطريق وإنما اختار دينًا واحدًا، إلا أنه دين فيه سبلٌ عدة. وقد أخطأ الصوفية في فهم هذه الآية. والواقع أن رحمة الله تعالى أوسع من أساليب الشيطان المضللة، فيقول الله تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

الآن أتناول السؤال التالي: إذا كانت الأسباب الدافعة إلى الخير والبرّ كثيرةً، فلماذا نلمس أغلبية الناس في العالم يتبعون الشيطان، والآخرون قليلون؟ ألا يقودنا هذا الأمر إلى الاعتقاد بأن تأثير الشيطان أكبر وأقوى من تأثير الملائكة؟

لنتذكّر أن طريق المقارنة بين تحركات الشيطان والملائكة خاطئ وغير سليم. يجب أن نجري المقارنة بينها على النحو التالي: يجب أن نستعرض أحوال كل إنسان، هل تتولد في مخيلته أفكار الخير أكثر أم أفكار السوء. من هذه الدراسة يبدو لنا أن أكثر أعمال الناس هي الحسنات بالقياس إلى السيئات، وإنما تتبلور السيئة وتتجلى لكونها شنيعة ومشينة. ولذلك قد قال الرسول ﷺ، "يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم أحد تخفق أبوابها" (كنز العمال)

كل من يقوم بالسرقة يعدّ منحطًا وسيئًا، لكنه في الوقت نفسه قد يخلو من عيوب كثيرة ويتحلى بصفات حميدة؛ وكأن بحوزته حسناتٍ كثيرة وسيئةٌ واحدة هي السرقة، وعموما ليس هناك شخص تكون سيئاته أكثر بالمقارنة مع حسناته. ففي العالم تكون الحسنة أكثر من السيئة والإثم، إلا أن السيئة تظهر وتتبين لكونها بارزة للجميع، فمثلها كمثل الذي جُدع أنفه، وسائر أعضاء جسمه سليمة، فكل واحد ينظر إلى أنفه ولا ينتبه إلى جمال سائر الأعضاء. فانطلاقًا من هذا المثال نقول: إن الحسنات تكون أكثر، لكن الناس ينظرون إلى السيئة ويهتمون بها أكثر، لذلك تعدّ بيّنة وجلية.

والآن أخبركم كيف يولّد الملك الفكرة في القلب، وأي وسيلة يتخذها لهذا الغرض: أقول من خلال تجربتي شخصيًا- كما يتبين لنا أيضا من تجارب عباده المقربين الذين أوتوا العلم- بأن الإنسان حين يقوم بعمل حسن، يقذف الملك في قلبه حبًا لذاك العمل، ومن ثم حين يعقد المرء العزم على أنه لن يسير إلا على درب الحسنات، فإن الملك يلفت نظره إلى فرصة سانحة، ويطلعه عليها كلما سنحت لكي يستغلها، لكن ذلك لا يعني أن الملك يقسر الإنسان على ذاك العمل، وإنما الملك يلفت انتباهه إلى ذلك ويطلعه.

الوسيلة الثانية لحض الملائكة تتلخص في زيادتهم علم الإنسان، الأمر الذي يرغّبه في إنجاز الحسنات والحرص عليها، إذ يبقى يترقّب فرص

الحسنات لينتفع بها، إلا أن المصدر الأصلي للبرّ والصلاح يبقى هو القلب، وإنما الملك ينوّره ويؤثر فيه ويرغّب الإنسان بعمل الخير، مما يعني أن الملائكة لا يُجبرون أحدًا على فعل الخير، وإنما يسهّلون عليه أعمال الخير، ومثَل ذلك كمثَل الشخص المحترم الذي يريد المرور عبر ازدحام، ويفسح له الناس مجالاً يمر به، فلن يقال إنهم يسيّرونه، لا بل يسيّر هو نفسه وبإرادته، وإنما الناس يسهّلون له السير؛ كذلك تمامًا فإن الملائكة يخلقون للإنسان وسائل تمكّنه من أعمال الخير بيُسر.

كذلك فإن الشيطان لا يُكره أحدًا على ارتكاب الذنوب والمعاصي، بل حين يرتكب الإنسان خطيئة ما يزيّن الشيطان له الثانية وحين يفرغ من الثانية يحبِّب له الثالثة.. وهكذا يضعه أمام سلسلة من الذنوب والمعاصي؛ فمثلاً إذا خطر على بال أحدكم وهو يمشي في الطريق أن يسرق، لفت الشيطان انتباهه إلى شخص غني. وتنحصر مهمة الشيطان في أن يشير عليه، وليس له الاستيلاء على القلب. لذلك فإن كل حسنة أو سيئة يقوم بها الإنسان هي عملُه هو، وإنما المَلَك أو الشيطان يحرّضه.

والوسيلة الثالثة تتمثل في قيادة الملائكة الإنسانَ إلى مكان يتحرك فيه من داخله محرّكُ الحسنات، ولكن الانتفاع به أو تركه يعود إلى قلب الإنسان. هنا ينشأ سؤال آخر وهو؛ إذا كان الإنسان محرَّضًا من قِبَل الملائكة أو الشيطان- إذ يثير الملك فيه الأمور الصالحة والشيطانُ الأمورَ

الطالحة- فما ذنب الإنسان في ارتكاب المعاصي؟ فصحيح أنه ارتكب المعصية لكنه ارتكبها بمعونة الشيطان؟! لنتذكر في هذا الخصوص أن الإنسان لا يؤاخَذ على مجرد نشوء المحرك الشيطاني، بل إنه يثاب على كبْته وعدم الاستجابة له، لكنه إذا عمل به ونفّذه فسوف يؤاخذ ويُكْتب عليه ذنب. (البخاري، كتاب الرقاق، باب من همّ بحسنة أو بسيئة)؛ ونقرأ في الأحاديث أن شخصًا جاء إلى النبي ﷺ وقال: تدور بقلبي أفكار سيئة جدا لدرجة لا يروق لي وصفها، ولا أرغب في تبيانها. فقال: هذا هو نور الإيمان حصرا.

فالمحرك الشيطاني بحد ذاته ليس ذنبًا وإثمًا، ولو نشأت في قلب الإنسان أية وسوسة فتركها، فهو ليس مذنبا. وهذا ما نقرأه في القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٥). لقد بين الله في هذه الآية أنه لن يؤاخذنا على مجرد نشوء الفكرة في القلب وإنما يحاسبنا إذا حافظْنا عليها وتابعناها وأذْعنّا لها، فالمحرك الشيطاني لا يوصف بالتعسف، لأن الإنسان لا يؤاخَذ على نشوئه، فمثل هذه المحركات حتى لو ظهرت في القلب ألف مرة ورفضها المرء وقاومَها فلن يُعاقَب، بل سوف يثاب على ذلك.

ولسائل أن يسأل الآن: كيف يتم المحرك الشيطاني، وبأي أسلوب يحرّض الشيطان؟ فلنتذكر في هذا الخصوص أن الشخص الصالح الذي لم

يسلّمْ نفسه إلى الشيطان ولم يخضع له، وله صلة بالملائكة، يحاول الشيطان إضلاله من خلال تحريضه على الحسنات، ثم حين يصير تحت سيطرته ويتم له الاستيلاء عليه، عندئذ يُضلّه عن طريق المحركات السيئة، وسوف أشرح هذا لاحقا. الآن أخبركم بأن للمحرك الشيطاني فرعين؛ أحدهما للحسنات والثاني للسيئات. هنا يتبادر إلى الذهن سؤال: إذا كان الشيطان هو الآخر يحثّ على الخير والبر، فكيف نتجنب تحريضاته؟! لأنه من الممكن أن يقوم المرء بعمل حسن ويكون وراءه شيطان، لأن التعرف إلى عمل سيئ أمر سهل غير عسير، لكن من يُدريه بأن العمل الحسن الذي يُقبِل عليه محركُه الشيطان. ولحل هذه المشكلة أقارن لكم بينهما لتتبيّنوا من خلالها المحرك الشيطاني من المحرك الملائكي.

١- تذكروا أن الحافز الملائكي هو حصرًا ذاك الذي يؤدي إلى نتيجة حسنة، لأن المحرك قد يبدو صالحًا، لكنه ينتهي إلى نتيجة سيئة، وقد يكون المحرك طالحًا ويؤدي إلى الخير؛ ففكّروا قبل تنفيذ أي حافز فيما سيؤدي إليه، وتأكّدوا أنه لن تترتب عليه نتيجة سيئة. فمثلاً ينشأ محرك الخير بأن ينصح المرء أخاه الفلاني الذي لا يصلي، لكنه اختار الأسلوب السلبي، إذ يذهب إليه وهو جالس في الملأ ويقول له إنك لا تصلي، لذا أنت منافق فأقْلِعْ عن هذا النفاق. فهذا المحرك كان صالحًا في الأساس،

لكنه إذا- نُفّذ على هذا المنوال- فلسوف يترتب عليه إنكارُ الصلاة ورفضُها أصلاً.

كان الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام يروي لنا أن صهرًا له كان وهابيًا، وصادف أن جاء زعيم لزيارته- وختنُه هذا موجود عنده- وكان طرَفَا سروال الزعيم يلامسان الكعبين، فلما شاهد ختنُه هذا، وخز كعبَي الزعيم بمسواك وقال: أنت جهنمي إذ تلبس السروال على هذا النمط. فأطلق الزعيم شتيمة وقال: أنا لا أؤمن بالله، ومن هذا الإله الذي تؤمن به؟! عندها قال له الخليفة الأول رضي الله عنه: ما أحسن نُصحَك الذي جَعلَه كافرًا!

وملخص القول إن هناك محركًا يبدو في إطاره الخارجي حسنًا، لكنه ينتهي إلى عاقبة وخيمة؛ فاعلموا أن هذا المحرك ليس من الملائكة، لأن المحرك الملائكي لا يمكن أن تترتب عليه نتيجة سلبية لكونه يتْبع إرادةَ الله، فعند نشوء أي محرك، عليكم أن تأخذوا في الحسبان إذا كان حسنا أو رديئا، كما يجب أن تحسبوا حسابًا لنتيجته، فإذا رأيتم أن هذه الفكرة سوف تترتب عليها نتيجة سيئة فاعلموا أنها من الشيطان وليست من الملائكة، وإن لاحظتم أن نتيجتها ستكون أيضًا صالحة فأيقنوا بأنها من الملائكة.

٢- والطريقة الثانية لإجراء المقارنة بين المحرك الملائكي والمحرك الشيطاني أن المحرك الملائكي يكون مبنيًا على المفاضلة ومراعاة الرتب

والدرجات، أما المحرك الشيطاني فليس كذلك، إذ إن الشيطان يحث الإنسان على حسنة بهدف أن يبعده عن حسنة أكبر منها، فمثلاً إذا خطر لأحدكم أن يصلي النوافل- والصلاة قائمة- فانصرف إلى أداء النوافل مُهملاً صلاةَ الجماعة، فهذا المحرك شيطاني لأنه ضحّى بالحسنة الكبرى من أجل الصغرى. حين قيل للسير سيد أحمد خان- مؤسس جامعة عليجره بالهند- لم لا تصلي؟ قال: إن ما أنشغل به من أعمال الخير هو أيضًا من الدين. وكان باديًا من عمله أنه متفانٍ في عمله مخلصًا له، لذلك يمكننا القول بأنه لم يكن يقوم بهذه الأعمال اعتقادًا منه بأنها سيئة، كلا! بل كان ينجزها وهو متيقن بأنها خيريةٌ، إلا أنه أهمل الحسنة الكبرى مقابل التي هي أصغر منها درجة، ومن هذا المنطلق لا نستطيع أن نقول إن أعماله كانت تابعة للمحرك الملائكي. فغاية الأمر أن النازع الشيطاني يكون في بعض الأحيان حسنًا وبارًا، لكن الهدف منه هو صرف النظر عن البرّ الكبير إلى البر الصغير. لقد كتب الشاه وليّ الله رحمه الله قصة عن إحدى نساء عائلته أنها كانت تذكر الله كثيرًا، وكان أخوها يمنعها من ذلك ويقول لها أن تزيد من اهتمامها بالصلوات. وكانت تردّ عليه قائلة: إن هذا الذكْر يجلب لي متعة كبيرة. وكان يقول لها بأنه وسواس شيطاني وسوف يقودك الشيطان في نهاية المطاف إلى ترك السنن والفرائص. وبعد مدة وجيزة أخبرت أخاها بأنها بالفعل بدأت

تفقد المتعة في السنن. وطلبتْ منه قائلة: دلني على العلاج. فقال لها أن تحوقل؛ أي تُكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وبعد أيام رأت في الكشف قردًا يقول: أنا شيطانٌ، ولو لم تردّدي «لا حول ولا قوة..» ولو لم يُرشدْك أخوك، لكدتُ أقودك إلى ترك الفرائض أيضًا.

فالنازع الشيطاني قد يبدو في لباس الحسنة، ولا تراعى فيه المراتب والدرجات. وعلى صعيد آخر تكون سنة الله كلها متزنة ومرتبة بحسب الدرجات، إذ يؤْثَر كل كبير على صغير، فإذا رأيتم أن عملاً ما يقتضي عكس ذلك، فاعلموا أنه من الشيطان.

وهذه الوسوسة سائدة ومتفشية وعامة، إذ يقول كثير من الناس إنه لا يمكن تحقيق أي تقدّم دون العلم، لذا يجب أن نتعلم أولاً ثم نبدأ بالتبشير ومن ثَم يجب أن نصْرف جميعَ الأموال على تحصيل العلم. وكل من يسمع هذا القول يتأثر به، إذ لا يمكنه القول بأن العلم ليس شيئًا جيدًا حسنًا وغيرَ جدير بأي اهتمام. لكنها وسوسة كما بيّنت، لأن العلم بمنزلة الزينة للدين وأمر هامشي للدين، ولا شك أن الاهتمام بالعلم أمر ضروري، إلا أن الذي يلحّ على إنفاق كل ما في جعبتنا لتحصيل العلم، مَثَله كمثل الذي ينفق ما يكفي لتأمين لقمة العيش لعشرة أشخاص على تحضير وجبة فاخرة لشخص واحد ويدَع البقية يموتون جوعًا، فإطعام عشرة أشخاص لإنقاذهم من الموت أفضل من

تقديم وجبة فاخرة إلى شخص واحد. من هذا المنطلق، إن السعي لبثّ الحياة الروحانية في الناس أفضل من أن نصبّ جميع اهتماماتنا على تحصيل العلم ونصرف عليه أموالاً طائلة، ويجب أن لا نقدم هذا الصغير على ذلك الكبير، وإلا لمْ يبق هناك تفاضل بين الأعلى والأدنى. وفيما يتعلق بالمقارنة فقد أشار إليها النبي ﷺ بأسلوب غاية في اللطف، حين سئل: كيف نتبين الحلال من الحرام؟ قال: "الإثم ما حاك في صدرك" (مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم)، أي استفتِ قلبَك، وإذا أفتاك قلبك بتحليل أمر فهو حلالٌ وإن أفتى مشايخُ العالم كلّه ضده. لكن هذا المعيار لا يشْمل الأمور التي فصّلت الشريعة بحلالها أو حرامها، بل إنه يخص المشتبهات التي تبدو مرة حسنة ومرة أخرى سيئة، وإذا تردد قلبك في تنفيذ مثل هذه الأمور فيجب أن تجتنبها، فإذا سُئل أي شيخ عن الذِكْر مثلاً فسوف يقول: إن ذكرَ الله عملٌ حسنٌ. لكن ترك الفرائض من أجل الذكر يخص قلبه وسيترك القرار لقلبه. أو إذا سأل أحد عن المؤانسة أو تقديم الهدية سيرد كل عالم أنه أمر مستحب. لكنه إذا أخفى في قلبه أنه يقصد من الهدية الرشوة أو ما يشابهها، فإنه يعلم بنيته عند الاستفتاء، ويجب أن يطيع قلبه الذي سيقول له إن هذا الأمر حرام، وينبغي أن لا يعمل بالفتوى وإن كان الشيخ قد أفتى بحلالها.

فقد قال النبي ﷺ إنه لو أفتاكم أحد في أمر ما لكن قلبكم يلاحظ فيه ما يشوبه، فيجب أن لا تعملوا به وتتركوه (مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث وابصة بن معبد الأسدي).

٣- الفارق الثالث بين الملائكة والشياطين هو أن المحرك الملائكي يتصف بالتدرج والارتقاء، فمثله كمثل الأم التي تحمل الولد وتمشي به، ثم تمسك بيده وتلازمه وتماشيه، وبذلك يتعلم الطفل المشي. لكن مثل المحرك الشيطاني كمثل العدو الذي يحمل الطفل ثم يُلقيه. أو بمثال آخر إن مثل النازع الملائكي والشيطاني كمَثَل الأستاذ الحنون الذي يبدأ تعليم الطفل بالألِفبائية ثم يرتقي به ويرفع مستواه تدريجيًا، لكن إذا كان الأستاذ عدوًّا للطفل فسيبدأ بدرسٍ صعب حتى يملّ الولد ويهرب من الدرس؛ فالحافز الملائكي يتصف بالتدرج ولا يلقي على عاتق الإنسان الوزْر فجأة ولا يستعجل في أي أمر. لكنكم إذا لاحظتم عكس ذلك ووَقَع عليكم الحمل فجأة وشعرْتم بالحث على التسرّع فاعلموا أنه من الشيطان وليس من الملائكة؛ فمثلاً يحرّض الشيطان المرء على أن يصبح وليًّا في ليلة وضحاها، ثم يلقي في روعه أنه ولتحقيق ذلك يجب أن يصلي سحابة النهار ويصوم طول العام، فمن امتثل له وخضع لتحريضه فلسوف يملّ ويترك الصلاة والصوم في نهاية المطاف نهائيًا، وهذا السر يكمن فيما وجَّه إليه النبيُّ ﷺ أحدَ الصحابة الذي كان يقوم الليل كله ويصوم النهار،

وقال له: إن ذلك ليس من البر، لأنه يمنعك من تأدية حقوق الآخرين عليك (البخاري، كتاب التهجد، باب ما يُكره من ترك قيام الليل)، وإنما البر أن يعمل المرء بالتدريج، حيث يخطو خطوة ثم ثانية ثم ثالثة، فهذه أمارة المحرك الملائكي، بينما يلحّ المحرك الشيطاني على تنفيذ أمر ما فجأة ومباشرة. فمثلاً إذا جال في خاطر شخص لا ينفق في سبيل الله شيئًا أن يتبرع براتبه الشهري كله في الشهر القادم، ولما كانت هذه الفكرة ليست نابعة عن رغبته الأصلية، فسوف يبعث عمله هذا في قلبه القلق والهم بعد الدفْع، ثم بعد نشوء الهم والقلق سوف يستولي عليه الشيطان ويلقيه في هوة الضلال.

فالنازع الشيطاني يتسم بالاستعجال وحمل الوزر فجأة ودفعة واحدة. إنه يحرضه في بادئ الأمر أن يحقق اللقاء مع الله في يوم واحد، وإذا لم يتحقق له ذلك فسوف يبث اليأس في قلبه، فكثير من الناس يقولون بعد أداء الصلاة لأسبوع: لمْ يتحقق لنا لقاء الله. كما أن هناك كثيرًا منهم يطمعون في لقاء الرسول ﷺ بعد أداء الصلاة لأيام قليلة، وهذا كله نابع عن وساوس شيطانية. إذا تأهل المرء لرؤية الله ورسوله ﷺ فسوف يراهما، ومِن أين له رؤيتهما قبل ذلك. إن مِثْل هذا الاستعجال يكون من قِبل الشيطان. ولكن في الأخير، حين لا يتحقق للشيطان ما كان يتطلع إليه، يقنط ويهجر صاحبه هجرًا باتًّا.

٤- رابعًا: إذا كان الإنسان أمام أمور متشابهة لا يستطيع أمامها أن يتخذ قرارًا في العملِ بها أو تركِها، ويتردد في حرمتها، فالملائكة يحرّضونه في مثل هذا الموقف أن يتركها ولا يعملَ بها، تحفظًا منها وحذرًا، أما الشيطان فيقول للإنسان: اعمل بها، وأي حرج إذا أخذتها، وقد تكون حسنة وجلالاً، وحين يُقْدم الإنسان على عملٍ مشتبه وينتهي منه، يجعله الشيطان منطلقًا ويرغّبه فيما بعد إلى الثاني فالثالث، وهكذا يجعله يتمادى في ارتكاب السيئات حتى يستصدر منه كبائر المعاصي.

٥- الفرق الخامس: عندما يمتثل الإنسان للنازع الملائكي فإن الملائكة يزيدونه حسنة ويطّورونه؛ فمثلاً إذا كان في الصلاة، رغّبتْه الملائكة في أن يحسن صلاته. بينما الشيطان حين يرى الإنسان يعمل العمل الصالح فإنه يرغّبه في حسنة أخرى، وهدفه الأول من ذلك أن يصرفه عن التي ينشغل فيها الآن، فيرى هل رغب فيها؛ فالمهم أن يترك التي يمارسها، وإذا انصرف عنها وتوجّه إلى التي يرغّبه فيها، فسوف يضع أمامه الثالثة وهكذا دواليك.

٦- سادساً: إن النازع الشيطاني يبلوِر للإنسان أحيانًا عيوب الآخرين ومَثالِبَهم، بينما لا يظن صاحب النازع الملائكي بالآخرين إلا خيرًا وحسنًا، لأن الملائكة دائمًا يبعثون في الصدور ظنون الخير والحسن، لكن النازع الشيطاني يُظهر على الإنسان عيوب الآخرين. ويجعل الشيطانُ

الإنسانَ يفكر في أفضليته، إذ ينصرف المرء إلى التفكير بأن فلانًا يَعيبه كذا وفلانًا تشوب سلوكَه الشوائب، وأنا وليّ من أولياء الله الكبار؛ كما يقول المسيحيون بأن إبراهيم وموسى وداود وسائر الأنبياء كانوا مذنبين، الأمر الذي يثبت أفضلية المسيح عليهم، لكن مثَل هذا القول كمثل الذي قال أنا أكثر قدرةً من فلان وفلان- من الموتى- وأقوى منهم. هكذا يحط الشيطان من مكانة الآخرين في نظر الإنسان ويحقرهم عنده، ويجعله يفكر في أنه عظيم، ومِن ثَم يولّد فيه العُجب والعنجهية ويقوده إلى الهلاك.

ويمكن ألا يظهر أي تفضيل بين الحسنات، أي أن الشيطان يبعث الإنسان على أن يقدّم الحسنة الصغيرة على الكبيرة، لكنه في بعض الأحيان يجعل الإنسان يركّز اهتمامه على حسنة- بين الحسنات المتماثلة- دون أخرى، ويقصيه عنها نهائياً؛ فإذا كان شخص يبشّر بالإسلام- مثلاً- يحرّضه الشيطان على عدم تقديم التبرعات، إذ يهمس في أذنه قائلاً إنك تبشر، وهذه حسنة، فما الداعي للإنفاق في سبيل الله. وعلى العكس يقول للذي ينفق أمواله في سبيل الله، ليس من الضروري أن تبشر، حسبك التبرعات، لكن الملائكة تقول إن التبشير لا يقل أهمية عن تقديم التبرعات، فكلاهما حسنةً لا بد أن تُمارَس.

٧- سابعًا: هناك أمر خطير جدًا، وهو أنّ الإنسان حين يُقْدم على أي حسنة يأتيه الشيطان لينشئ في خلده فكرة أنه إذا قام بهذه

الحسنة، وصَفَه الناس بأنه مُراءٍ، لذا من الأفضل أن يبتعد عنها ويتركها لئلا يوصف بالرياء. إن هذا الإنسان يكون أدنى درجة، وليس حائزًا على المرتبة السامية من الإيمان. وحين يذهب هذا الشخص إلى المسجد- مثلاً- ليصلي بالجماعة، يأتيه الشيطان ليوسوس في خلده قائلاً: إنك إذا ذهبت إلى الجامع فسوف يراك الناس، فيصفونك بالورع والالتزام بالصلاة بالجماعة، وهذا سوف يقودك إلى الرياء، لذا من الأفضل أن تعزف عن الذهاب إلى المسجد. وبذلك يمْنعه من الذهاب إلى المسجد ليحرمه من الصلاة بالجماعة. لكن في المحرك الملائكي تُراعى آداب الشريعة، وعلى المرء لدى تولّد مثل هذه الأفكار الشيطانية أن يقول لنفسه: إنني سوف أمتثل لأوامر الشريعة لا محالة، مهما كانت نظرة الناس إليّ. ويجب أن لا يهتمّ بمثل هذه الأمور ويلبي أوامر الله تعالى.

أمام مثل هذه المواقف يجب أن لا يغيبن عن البال بأن من دأب المؤمن أن يأخذ حذره وأن يتحفظ في مثل هذه الأحوال، ويجب أن يتفحص نفسَه بأن الحسنة التي لا تسترعي انتباهه ولا يتنشط لها، فعليه أن يُرجعها إلى المحرك الشيطاني، وأن يركز عليها أكثر، وأن يعير لها اهتمامًا أكثر؛ فمثلاً إذا كان هناك شخص ينفق في سبيل الله ولا يبشر ويحسب في نفسه أن التبليغ ليس بتلك الأهمية، فيجب عليه أن يعلق عليه أهمية

أكبر. فكما أن الطلاب المقصرين يهتمون بالمادة التي يستصعبونها، عليكم أن تتنشطوا في الحسنة التي تتوانون في أدائها لتعوّضوا قصورها.

الآن أخبركم كيف يمكنكم التخلص من النوازع الشيطانية. إذا حرّض الشيطان الإنسان على حسنة بهدف أن يبعده عن أخرى أكبر منها، فعلى المرء أن يجري المقارنة بينهما، ومن ثم يعمل بالتي يرغّبه الشيطان فيها، وكذلك التي يريد إبعاده عنها. فمثلاً إذا كان الإنسان مقصرًا في الذكر وحثّه الشيطان عليه فينبغي أن يُقبل عليه دون أن يتهاون في أداء الفرائض في الوقت نفسه، بل عليه أن يؤديها كما يجب، الأمر الذي سوف يجعل الشيطان يقنط منه ومن ثم لن يتجرأ على مثل هذا التحريك.

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقص علينا قصة عن سيدنا معاوية رضي الله عنه وهي أنه تأخر يومًا عن صلاة الفجر، فلما استيقظ كانت الصلاة قد فاتته، فظل النهار بكامله يبكي ويتضرع. وفي اليوم الثاني رأى في المنام أن شخصًا أتاه ليوقظه للصلاة، فلما سأله عن نفسه من هو؟ قال: أنا شيطانٌ جئت لأوقظك للصلاة. فقال له باستغراب: ما هي القضية؟ كيف توقظني أنت للصلاة؟ فقال: لقد دفعتك إلى النوم ورغّبتك فيه، فاستجبت لي، وبقيت نائمًا حتى تأخرت عن الصلاة ولم تتمكن من أدائها في وقتها، الأمر الذي جعلك تبكي طول النهار، فقال الله للملائكة أن يثيبوك ثوابًا أكبر بكثير من الصلاة بالجماعة، فصدمني أنني

حرمتك من الصلاة وقد نلت ثوابًا أكثر منها، لذلك قد جئت اليوم لأوقظك خشية أن تثاب أكثر مثل الأمس.

فما دام الإنسان يرفض تحريكات الشيطان فإنه ينفض يديه منه نهائيا وييأس منه وينصرف عنه، وقنوط الشيطان أمر ثابت في الإسلام.

والآن أخبركم بأن الإنسان يقدر على أن يحوِّل تحريك الشيطان في حسنة، فهو يتحول فعلا إلى حسنة.

ولا يغيبن عن البال أن للشيطان نوعين من التأثير، أحدهما عام مثل بثِّ الأفكار السيئة التي يتسع نظامها حتى تشمل الآخرين أيضًا، ومثل هذه الأفكار تؤثر في كل واحد منا، حتى كانت تؤثر في رسول الله ﷺ، وهذه التأثيرات يتعرض لها كل واحد منا. ثم هل يخضع ويستسلم لها أو يرفضها ويطردها، فهذا موضوع آخر.

وثانيهما التأثيرات الخصوصية التي تصيب حصرًا أولئك الذين هم غير مصونين من الشيطان أو الذين قد خضعوا له.

ليس المحفوظ من يلبي هذه النوازع، أما الذي لا يخضع لها فإنه ينتفع منها، إذ يلقي الشيطان عليه التأثير السيئ، لكنه يحوّله إلى الحسن، وبدلاً من أن يتعلم من الشيطان السيئاتِ يوظّف هذا التأثير في إنجاز أعمال البر والخير. وطريقة ذلك أن الشيطان يشن الهجمات من خلال النزعات، فهو يثير هذه النزعات ليؤدي بالإنسان إلى ارتكاب السوء،

ولكن الإنسان إذا نمّى قوة إرادته فسوف يتقدم إلى الحسنات بقدر ما ينميها، فحين تعتريه الشهوة مثلاً أو ينشأ فيه حب الحصول على المال عن طريق غير شرعي، ففي هذه الحال لو كانت قوة إرادته ضئيلة فسوف يلبي هذه النوازع بطريقة غير شرعية، لكن لو كانت إرادته قوية متينة فياضة لَوظّف هذه الدوافع في محلها وبطريقة رائعة؛ فبتنمية الإرادة يستطيع الإنسان الانتفاع من نوازع الشيطان السيئة، فقد قال النبي ﷺ إنه بنفسه كان يعمل على هذا المنوال.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ". قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "وَإِيَّايَ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ. فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ." (مسلم، كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه)

إن هذا الحديث لا يعني أن لكل واحد منا شيطانًا خاصا به يحضه على الشر، وأن شيطان النبي ﷺ كان يحثه على الخير والبر. إذ لو كان له كيان مغاير وقد بدأ يحثه على الخير بدلاً من السوء، فكيف لنا أن نعدّه من الشياطين، فقد أصبح إذن ملكًا، وإن قيل إنه كان فيما مضى شيطانًا ثم حين بدأ يحرض على الخير أضحى ملكًا، لَقلت هذا خطأ، لأن النبي ﷺ حين ذكر بأنه يدعو إلى الخير وصفه بالشيطان. وإن قيل بأنه وصفه بالشيطان نظرًا إلى حاله السابق لَقلت: لو كان الشيطان قد

أقلع عن الشيطنة فإن هذا التأثير الجليل إنما حصل بواسطة النبي ﷺ، فقد قال ﷺ «أعانني عليه» أي جعلني الله أتغلب عليه، فمن هذا المنطلق نقول إن إسلامه كان بسبب صحبته للنبي ﷺ فقط، وبعد ذلك أنى له أن ينشئ في قلبه ﷺ محركات إلى الشر.

فهذا المفهوم بدهي الخطأ، وللحديث مدلول آخر، هو أن تأثيرات الشيطان التي تعمّ جميع الناس- وما من شخص بمعزل عنها- حين تنتهي إلى النبي ﷺ تتحول إلى حسنة؛ فمثل ذلك كمثل الماء الوسخ القذر الذي حين يمر من المصفاة، يخرج نقيًا نظيفًا صافيًا. كذلك فإن كل تأثير شيطاني حين كان يصطدم بالرسول ﷺ يصير حسنة. وأقدم مثالاً آخر للتوضيح، وهو أن مثَله ﷺ كان كمثَل المعصرة التي حين يُدسّ فيها قصب السكر، ينسكب العصير من طرف وتخرج القشور من طرف آخر. كذلك كان ﷺ إذا انتابتْه فكرة خبيثة، انفصلت عنها الأقذار وبقيت الطيبة، وهذا ما قصده في قوله بأن قرينه من الجن قد أسلم. فغاية القول إن بإمكان المرء الانتفاعُ من تحريكات الشيطان، فبأسلوب حسن يمكنه أن يحوّلها إلى حسنات.

٨- ثامنًا: الآن أتناول الأمر الأخير، وهو: كيف يمكن أن نزيد التحريكات الملائكية؟ وللرد على هذا السؤال ينبغي أن نستعرض القاعدة الأساسية لتطوير كل شيء في قوانين الطبيعة. بتدبّر بسيط

نكتشف أن تلك القاعدة تتمثل في استخدامنا الشيء بأسلوب لائق؛ انظروا إلى الذين يتناولون كمية ضئيلة جدًا من السم في البداية ويزيدونها تدريجيًا، فهم يتمكنون في آخر الأمر من هضم عشرة غرامات من السم الزعاف دون أن يتضرروا، وذلك لاعتيادهم تناوله بسبب زيادة الكمية تدريجيًا حتى يعتادونه. ولكن الذي لم يتعود على ذلك فقد يقتله تناول القدر اليسير من السم. كذلك حال قوة الجسم ومناعته، فإن الذين ينشغلون في الأعمال الشاقة تخشن أيديهم وتتقوى وتتصلب، والذين يعتادون الأكل المفرط يستطيعون أن يأكلوا ما يأكله أربعة أو خمسة أشخاص. فكل شيء يتطور بقدر ما نُكثر استخدامه، وهذا هو حال المحرك الملائكي، فبقدر ما يلبي المرء المحركات الملائكية ويعمل بها وينفّذها، يتمكن من استكثار هذه المحركات. وهنا قد يسأل سائل أنه من الممكن في النظام الجسماني أن يأكل شخص طعام أربعة أو خمسة أشخاص أو على الأكثر عشرة أشخاص بعد أن يعوّد جسمه بزيادة كمية الطعام تدريجيًا، لكنه لا يستطيع تناول طعام مئة شخص أو ألف شخص، فهل هناك حد معين لاجتذاب المرء للمحركات الملائكية لا يُمكن تجاوزه.

تذكروا أن هذه المقارنة خاطئة وغير صائبة، وذلك لأن جسم الإنسان يعيش لأيام محدودة، ونقيس الروح على الجسم إجمالاً وليس كليًا

وتفصيلاً، وبما أن الجسم يعيش أمدًا محدودًا تكون قواه محدودة، لكن قدرات الروح لا حصر لها لكونها خالدة، وقد خلقها الله على نمط قابل للتقدم والترقي قدر ما يريد الإنسان تنميتها، وبمقدور المرء أن يتقدم في هذا المجال قدر ما يريد.

فلما كان الإنسان سينتفع بالقوة الروحانية، خلق الله لتنميتها وسائل لا تُعدّ ولا تحصى. ولأن قدرات الجسم سوف تختفي بفنائه، فقد وضع الله لوسائل تنميتها حدًا معينًا.

ونستشهد على ذلك بخَلْق الله تعالى. إن كون جميع القدرات الجسمانية محدودةً، حقيقةٌ لا تُدحض، وأن لها حدًا لا تتجاوزه؛ فالمعدة مثلاً تنمو إلى حد معين لا تتعداه، وكذلك الصدر ينمو إلى درجة معينة، ومثلهما للرأس حد معين إذ لا يمكن أن يستمر نموه حتى يصبح مثل الجرّة، أو قامة الإنسان التي تبلغ حدا معيّنا، فقد تصل إلى سبعة أقدام أو تسعة على أقصى تقدير، ولا يمكن أن يبلغ طول الإنسان خمسة وعشرين أو حتى عشرين قدمًا. فجميع الأشياء المادية لها حد معين، لكن القدرات التي لها صلة بالروحانية وتنتمي إلى عالم الروحانية، ما لها من نفاد، فالجزيئات المسؤولة عن الذاكرة في الدماغ تتكاثر بقدر ما يريد الإنسان إكثارها، فهذه الجزيئات لا تنتهي مهما يترقَّ أحدكم في العلم، وقدراته هذه تكون في ازدياد لكونها روحانية، والوسيط الوحيد بين الروح والجسم هو الدماغ،

لذا لا تتسم المعدة وغيرها من الأعضاء بهذه الصفة. فقدرة الإنسان لاجتذاب المحركات الملائكية تتعاظم بقدر ما يستفيد منها.

الأمر الثاني الذي يُستشف من القرآن الكريم، هو قاعدة عامة وبمقدور كل شخص أن يفهمها وهي أن الطيور على أشكالها تقع، أي إن الذين يتجانسون، تنشأ بينهم علاقة ما، وانطلاقًا من هذه القاعدة يمكننا القول بأن الذين يتشبهون بالملائكة تزداد عندهم فيوض الملائكة. والملائكة قد وصفهم الله تعالى بأنهم:

﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٧)

أي لا يتخلفون عن تلبية أي أمر من الله وينفّذون كل ما يأمرهم به ربهم، وحين يتصف أحدكم بهذه الصفة تنشأ له صلة بالملائكة.

ولقائل أن يقول إن هذه الصفة لا يتصف بها إلا الكبار من الناس، فماذا يفعل الصغار؟ أقول إن هناك وسائل لهؤلاء الناس أيضاً، وفي تبيان هذه الوسائل أتناول أولاً تلك الوسيلة التي ذكرها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وهي كما بيّنها عليه السلام على النحو التالي: إن الذي يتنزل عليه جبريل، فإن من يجالسه يكسب هو الآخر هذه الصفة المذكورة، وذلك لأن من عينيه ويديه وأنفه وفمه ومن كل ذرة في جسمه تنبعث أشعة نورانية تؤثر في القلوب. وبذلك يظل الملك ينزل على الإنسان بصورة غير مباشرة، ويستدل على ذلك من القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى:

﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

أي صاحِبوا الصادقين، والمقصود منه أن تقيموا مع الصادقين صلة حتى يمتد تأثير الملائكة فيهم إليكم فتستندوا إليهم، إذ ليست من وسيلة لاستنهاض مَن وَقع أو سقط على الأرض إلا أن يستمسك بغيره ويتكئ عليه ليتمكن من الوقوف، كذلك فإن الناس بحاجة إلى أن يستندوا إلى مَن ينزل عليه جبريل ليقوموا.

والوسيلة الثانية أن يصلي المرء على الرسول ﷺ، وهذه الأخرى نستنبطها أيضا من القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)

أي أن الله وملائكته يباركون هذا النبي ﷺ على الدوام، وإذا كانوا هم يصلون عليه فمن واجبكم أيها المؤمنون أن تصلوا عليه أنتم أيضًا.

هنا قد يتبادر إلى ذهن أحدكم فيقول: صحيح أن الله تعالى قد أمرَنا في هذه الآية بالصلاة على النبي ﷺ، لكن كيف نعرف أن علاقةً ما سوف تحصل لنا بالملائكة نتيجة هذه الصلاة. أقول: أستشهد على ذلك بقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٢-٤٤)

أي أكثروا من ذكر الله أيها المؤمنون وسبِّحوه صباحَ مساء. هو الله الذي يصلي عليكم وملائكته ليُخرجكم من الظلمات إلى النور. ومن الملاحظ أن الله أمر المؤمنين في الآية الأولى (الأحزاب: ٥٧) بأن يصلوا على النبي، لأن الله تعالى وملائكته يصلون عليه. بينما قال في الآية الثانية: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ (الأحزاب: ٤٤) والظاهر كان يقتضي أن تكون الآية- وفق الآية الأولى- على النحو التالي: "إن الله وملائكته يصلون عليكم، فصلّوا أنتم على بعضكم"، لكن الله لم يقلْ هكذا. من هنا يتضح جليًا أن الآية الأولى تحمل حكمًا مستقلاً، وهو أن الله وملائكته يصلون على النبي، لذا يجب أن تصلوا عليه أنتم أيضًا. وأخبرَنا في الآية الثانية جزاء صلواتنا هذه على النبي ﷺ وكأنه قال: بما أنكم نفّذْتم حكم الصلاة على النبي، فقد ترتب على ذلك أن يصلي عليكم الله تعالى وملائكته. فكأنه كان قد أمر في الآية الأولى بالصلاة على النبي لدرجته السامية، وتحدّث في الآية الثانية عن جزاء هذا العمل، ولما كان هذا الجزاء لا يقترن بحكم آخر، فلم يزد عليها بالقول « فصلّوا على بعضكم»؛ فحين ندفع النقود لشراء الملابس مثلاً، لا يحق للبائع أن يقول لمْ تكافئوني على بيعي إياكم هذه الملابس. ففي الآية الأولى قد قال الله بما معناه: بما أن الله وملائكته يصلون على النبي، فصلوا عليه أنتم أيضًا. لكن فيما يخص المؤمنين اكتفى عَزَّ وَجَلَّ بالقول إنه يصلي عليكم

وملائكته، ولمْ يطالبنا بصلاة بعضنا على بعض، ومن ثَم لمْ يقل: فصلوا على إخوتكم.

فثبت من هذه الآية أنّ صلاتنا على النبي ﷺ تربطنا بالملائكة، فمَنْ صلّى على النبي ﷺ، سوف تحصل له نسبة ما بالملائكة، ومن ثم تنشأ له علاقة بهم، فلهذا السبب قد وصف الصالحون الصلاةَ على النبي ﷺ بأنها عمل عظيم الشأن. وعلى الصعيد الآخر قد قال النبي ﷺ إن الدعاء غير المقرون بالثناء على الله والصلاة على النبي غير مستجاب. (سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب ما يَستفتح به الصلاة من الدعاء) مما يعني أن الدعاء المسبوق بحمد الله والصلاة على نبيه، جدير بالقبول أكثر.

يجب ألا تنسوا أن الأشياء المتشابهة في العالم تكون وثيقة الصلة ببعضها، إذ يقول الله تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٦)

كأن الله تعالى يقول: لو قطع الناس جميع مدارج الرقي والتقدم حتى يصبحوا ملائكة، لنزّلنا عليهم ملائكة، أي إن الملائكة لا تنزل إلا على من يتشبهون بهم.

تعالوا ننظر الآن كيف يمكن للمرء أن يتشبه بالملائكة:

١- إن أول ما يحقق به المرء مماثلته بالملائكة، هو تبليغ رسالة أنبياء الله؛ فقد قال الله للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠) أي عندما سأنتهي من خلق الإنسان، عليكم أن تطيعوه حق الإطاعة. فكأن رفقة النبي ونشر دعوته لَمِنْ مهام الملائكة، فمن كان مع النبي وبلّغ الناس ما أرسل به النبي سيتشبه بالملائكة لقيامه بعملها، ومتى أصبح على هذه الحال فسوف تألفه الملائكة وتقيم معه الصلات.

٢- والطريقة الثانية لخلق المشابهة بالملائكة تتمثل في إشاعة وحدانية الله، لأن الله يقول في وصف الملائكة:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٩)

أي يشهد الله وملائكته على التوحيد. فمن هنا نستنتج أن إشاعة وحدانية الله هي من وظائف الملائكة، والذين يقومون بهذه المهمة- من الناس- بإمكانهم التبرك بالملائكة، حتى إننا لنلاحظ أن الذين يشيعون وحدانية الله على نحو مزيّف، هم أيضًا يقطفون ثمرات هذا العمل. وإن ما حققه أتباع رام موهن راي والبانديت ديانند من التقدم والازدهار، لم يحظ بهما سائر الهندوس، والسبب يكمن في اعتقادهم بوحدانية الله وإشاعتها إزاء بقية الهنادك. فإن الذي يتعصب لتوحيد الله ويغار له يكتسب من الملائكة بركات جمة.

٣- التدبير الثالث الذي بموجبه يستطيع المرء أن يتشبه بالملائكة يتمثل في أن يحرك نفسه إلى العفو عن الناس وإقالة عثراتهم، وأن ينبذ سوء الظن، ولسوف يحرّضه الملائكة على الحسنات بقدر ما يتصف بهذه الصفات. إن إقالة عثرات الآخرين والعفو عنهم مما يسترعي انتباه الملائكة ويقرّب المرء إليهم، وذلك لأن الله يقول في وصف الملائكة:

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: ٨)

أي أن الملائكة يدعون الله ليغفر للناس أخطاءهم، فمن زاد اهتمامه بهذه الصفة، حصلتْ له علاقة بالملائكة. وحديث النبي ﷺ يؤيد ذلك إذ قال: "إن الذي يدعو لأخيه فإن الملائكة تدعو له" (مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب) فإقالة عثرات الناس وعدم الاستسلام للغضب والغيظ يحدو بالمرء إلى أن تتقرب منه الملائكة.

٤- المحاولة الرابعة للتشبه بالملائكة تتجسد في التسبيح والتحميد؛ إذ إن الله قد ذكر في مهام الملائكة أنهم يسبحون الله ويحمدونه، فقال:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: ٧٦)

فالذي يسبح لله ويحمده تتوثق به علاقة الملائكة، وأستشهد على هذا أيضًا من الحديث النبوي الذي يقول: تنزِل الملائكة على موضع يذكر فيه المرء ربه. (صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر)

تذكروا أن من دأبي أنني أستدل على مسألة ما من القرآن عادة، ثم أجد في الحديث ما يُثبت أن رسول ﷺ كان يتحدث مستمِدًا من القرآن، ولما كان علمه أوسعَ وأكملَ فقد كان يستنتج من القرآن بشكل أفضل بكثير. لقد استنتجتُ من الآية: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أن من أعمال الملائكة التسبيحَ. وقد تبين من الحديث بأن الذين يقومون بهذا العمل تحصل لهم مماثلة الملائكة والارتباط بهم؛ وذلك بقوله ﷺ: إن الملائكة تنزل حيث يُذكر الله (مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر) أي أن الملائكة ينزلون على مكان يجري فيه ذكر الله، أي يغمرونه بفيضهم. كما أستدل على ذلك بواقعة حدثت قبل بضع سنوات، إذ ألقيت خطبة بعنوان "الذكر الإلهى"، وأخبرني شخص غير أحمدي- وقد اعتنق الأحمدية فيما بعد- بما يُعدّ شهادة حية لنزول فيض الملائكة، حيث قال: «كنت أعاني من ألم الرمد في العيون، وكابدْت الألم والمعاناة للوصول إلى مكان الاحتفال متوكئًا على الآخرين، لكن شُفيت من المرض تمامًا بعد سماع الخطبة، وعدْت إلى البيت وحدي دون أن أحتاج إلى أحد».

ثم إن الذِكر ينقسم إلى قسمين: أحدهما الذكر السري حيث يذكر الإنسان ربه في معزل عن الناس ويسبّحه، وثانيهما الذكر الجلي بغية أن يُسمع الناس ليشاركوه في الذكر ويبشرهم. وباتباع هاتين الطريقتين للذكر، يستطيع الإنسان أن يقيم العلاقات بالملائكة.

٥- إن تلاوة القرآن أيضًا مما يفضي بالإنسان إلى أن تتصل به الملائكة، فإن رسول ﷺ قد قال: تنزل الملائكة حيث يُقرأ القرآن (البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة) (صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن)، واعلموا أن الإنسان متى واكب الملائكة في كل ما تقوم به فإن علاقتها به تتوثق.

٦- إن الملائكة تنزل على من يقرأ الكتب التي ألفها شخص كانت تنزل عليه الملائكة؛ فمن قرأ كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام سوف تنزل عليه الملائكة؛ هذا لأن النكات والمعارف تتكشف على قارئي هذه الكتب؛ فكلما قرأناها تبينت لنا المعارف الخاصة ونزلت البركات. لقد ألف عليه السلام هذه الكتب تحت فيض إلهي خاص، فكلما أخذت البراهين الأحمدية لأقرأه، لم أتمكن من قراءة عشر صفحات، لأن الأمور الجديدة ونكات المعرفة تبدأ تنهمر عليَّ حتى ينشغل فيها الدماغ. فكُتُبه عليه السلام تحمل فيضًا خاصًا، وقراءتها تساعد على الحصول على فيضان الملائكة، وبقراءتها تتكشف العلوم الجديدة على الإنسان، إذا قرأتم أي كتاب لمؤلف آخر فستفهمون منه قدر ما تحمله الكلمات من مضمون، لكن في أثناء قراءة كتبه عليه السلام يتضح الموضوع بجلاء باهر، بشرط أن تتم القراءة تحت شروط معينة، أما قراءة القرآن الكريم، فتتكشف المعارف بها أكثر بكثير،

ومع أن بيان تلك الشروط التي تتطلبها قراءةُ كتب المسيح الموعود عليه السلام لا علاقة له بهذا البحث الذي أنا فيه، أذكر شرطًا واحدًا منها:

لا يمكن أن يدخل شيء في مكانٍ يقبع فيه شيء آخر موجود سابقًا، إلا إذا أخرجناه. فمثلاً إذا كان هناك مكان مليء بالناس، فلا يمكن أن يدخله آخرون ما لم يخرج من فيه. انطلاقًا من هذا المثال أقول إنه ينبغي أن نطرد من أذهاننا جميع الأفكار قبل قراءة أي كتاب للمسيح الموعود عليه السلام.

يجب أن نبدأ قراءتها بعد أن نخلي الدماغ تماما، وإذا قرأها أحد على هذا المنوال فسوف يتزود بعلوم صحيحة وفيرة، ومن قرأها في ضوء معتقداته فلن تترتب عليها هذه النتيجة.

لذا ينبغي أن نقرأ هذه الكتب بعد إفراغ الذهن من جميع الأفكار والتخيّلات، ومن فعل هذا فلسوف يلمس بوضوح نزول البركات الكثيرة عليه.

٧- الوسيلة السابعة للحصول على فيض الملائكة: يجب على المرء أن يرتاد تلك الأماكن التي قد نزلت فيها الملائكة على نحو خاص. لقد أخبرتكم قبل قليل أن الذي تنزل عليه الملائكة وجبريل فإن جليسه هو الآخر ينال فيضهم، والآن أود أن أفيدكم بأن المكان الذي تنزل فيه الملائكة بصفة خاصة، إذا قصده الإنسان فسوف تنزل عليه الملائكة

بصورة خاصة. فالذهاب إلى المسجد وفق هذه القاعدة يوم الجمعة مفيد جدا. يقول النبي ﷺ إن الذين يحضرون المسجد قبل بدء الخطبة فإن الملائكة يسجلون أسماءهم ويتوقفون عن ذلك عندما تبدأ الخطبة. (مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه)

فالحضور في صلاة الجمعة بانتظام واطّراد يربط المرء بالملائكة بأواصر الأنس والقرب، ويحصل له نوع من العلاقات بهم، ومن ثَم يصبح بإمكانه الفوزُ بفيوضهم.

٨- الطريقة الثامنة للفوز بفيض الملائكة تتجسد في إقامة الصِّلات بالخليفة، فللحصول على فيض الملائكة لا بد أن يكون الإنسان على صلة بالخليفة، وهذا ثابت من القرآن الكريم، فقد ورد في سورة البقرة:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة: ٢٤٩)

أي في زمن مضى قد سأل الناس نبيهم أن يُنصّب عليهم نائبه ليستعينوا به في الأمور الدنيوية. فلما عيّن عليهم نائبا قالوا: ما الذي يميّزه عنا؟ وهذا ما يقوله الأحمديون اللاهوريون لنا الآن. فقال النبي: تعالوا أخبركم بما يتصف به وأنتم منه مجردون، وهو أن الذين يربطون أواصر الحب به سوف تهيئ لهم الملائكة السكون والارتياح والطمأنينة. من هنا يتبين أن الانتماء إلى الخلافة والتمسك بها يربط المرء بالملائكة، لأن الآية

تفيد بأن الملائكة يحملون قلوبهم، وذلك لأن من معاني التابوت القلب والصدر. لقد قال الله تعالى: إن آية المنتسبين إلى الخلافة هي أنهم يكونون مرتاحي البال ورابطي الجأش، وتهبط عليهم الملائكة لتزوّدهم بعلوم الصالحين والأنبياء السابقين، فنزول الملائكة يترتب على إنشاء الصلات بالخليفة.

وردًّا على من سأل: إذا كان جبريل يصطحب الرسول على الدوام، فلماذا كانت تصدر منه الأخطاء أحيانًا، قال عليه السلام: إن عين النبي تُغمَضُ أحيانًا قصدًا، وذلك نظرًا لحِكَم جليلة عدة.

هذه هي الوسائل التي باتخاذها تتوثّق العلاقة بالملائكة. وعلى صعيد آخر هناك أمور إذا تعاطاها المرء فإن علاقاته بالملائكة سوف تتضاءل؛ فمثلاً تلك الأشياء التي تخالف وتنافي الأمور المذكورة آنفا تؤدي إلى ضعف علاقة المرء بالملائكة.

ويجب ألا تنسوا أن للطهارة الظاهرية دورًا كبيرًا في إنشاء الصلات بالملائكة؛ فقد قال النبي ﷺ: من بات نجسا وحرش به الشيطان فليَلُم نفسه (سنن الترمذي، أبواب الأطعمة عن رسول الله، باب ما جاء في كراهية البيتوتة وفي يده غمرٌ). وقال إن الملائكة لتشمئز مما ينفر منه الإنسان (أبو داود، كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجال). وقال إن اللعب مع الكلاب يسدّ طريق الملائكة، إذ تبتعد الملائكة عن اللاعب

مع الكلاب (أبو داود، كتاب الطهارة، باب الجنب يؤخر الغسل). وقال إن الذين يعلّقون الصور في بيوتهم فإن الملائكة لا تدخل بيوتهم (المرجع السابق). كما تعتزل الملائكة عن آكل الأشياء ذات الرائحة الكريهة، كالبصل مثلا، (أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم). أو الذي لا ينظّف الفم بعد تناول الطعام مما يسبب العفونة فيه (أبو داود، كتاب الطهارة، باب السواك). وإن الذين تشوبهم مثل هذه الأوساخ والأدران، لا تتقرب منهم الملائكة، ومنهم الذين يشربون النرجيلة، إذ لا يمكن أن يتشرف شارب النرجيلة بتلقّي الإلهام الرباني الصحيح.

وفي الأخير أسأل الله تعالى أن يشدّ أزرنا بالملائكة وأن يوفقنا لأداء المسؤوليات الملقاة على عواتقنا وأن يوفقنا إلى تطبيق التعليم الآتي منه على نفوسنا وإيصالِه إلى الآخرين، كما نسأله أن يغفر لنا جميع الأخطاء ويقيل جميع عثراتنا ويعفو عنا، ويسيرّنا على طريق البر والتقوى، ويكتب لنا الغلبة والانتصار في كل ميدان وينصرنا ويؤيدنا في كل مقام وكل مناسبة، وأن يذلّ أعداءنا ويخزيهم في كل مكان ويخيّبهم في كل مضمار، وأن يعصمنا من جميع الآفات الدينية والدنيوية. آمــين.

❋❋❋❋❋